روايات مصرية للجيب

11

فانتازيا

نداء الأدغال

Looloo



مقـــدمـة

اسمها (عبير عبد الرحمن)

إنها لا تملك شيئًا من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..

إن (عبير) ليست جميلة بأىّ مقياس ، ولا تجيد القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة أو ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسيًّا محترمًا ..

إن (عبير) هى إنسان عادى إلـى درجـة غير مسبوقة .. إلى درجـة تجعلهـا فريدةً من نوعهـا .. وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة هذه السلسلة ..

لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر الثرى الوسيم ـ والأهم من هذا ـ العبقرى .. وكان (شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جدًا ولا تملك أىّ ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع ثقافة المرء ، وإعادة برمجتها فى صورة مغامرات متكاملة ..

ولأن (عبير) تقرأ كثيرًا جدًا .. ولأن عقلها مزدحم

بأبطال القصص ومواقف القصص ؛ صار عقلها خامة صالحة لخلق مئات القصص المثيرة ..

(عبير) سترى القصص التى عشقتها .. ولكن مع تحوير بسيط : إنها ستكون جزءاً متفاعلاً فى كل قصة ! ستطير مع (سوبرمان) وتتسلق الأشجار مع (طرزان) .. وتغوص فى أعماق المحيط مع كابتن (نيمو) ..

وتزوج (شريف) (عبير) .. ربما لأنه أحبها حقًا .. وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فأر تجاربه معه للأبد .. ونعرف أن (عبير) حامل ..

وتواصل (عبير) رحلاتها الشائقة إلى (فانتازيا) .. ترى الكثر وتعرف الكثير .. وفى كل مرة ينتظرها (المرشد) ليقودها إلى حكاية جديدة ..

إن (عبير) تنتمى إلى (فانتازيا) .. أرض الخيال التى صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها الخاصة .. وأعاد تقديمها لها من جديد ..

(فانتازيا) هى المهرب من براثن الواقع .. وكل الوجوه التى لا تتغيرَ ..

(فانتازيا) هى الحلم الذى صاغته عبقرية الأدباء

على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءًا منه .. لكن هذا فى مقدورنا الآن ..

لسوف نرحل جميعًا مع (عبير) إلى (فانتازيا) .. نضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى هناك ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات يدوى .. إذن فلنسرع !

★ ★ ★

١ - نداء الأدغال ..

تحرك .. تحرك .. يا قطار (فانتازيا) الصغير المضحك ..

تحرك .. تحرك .. يا رسول الأحلام ، وبشرى الخيال ..

تحرك .. تحرك .. ولا تكف عن الانسياب وسط عوالم المبدعين ، التى جعلوا منها حقائق واقعة على مرّ العصور ..

لقد ضحك الملايين من دعابات (الجاحظ) ، وبكى الملايين مع مآسى (شكسبير) ، وارتجف الملايين وهم يقرءون لـ (لافكرافت) ، واهتم الكثيرون بأسلوب (بوارو) الممنطق فى التفكير ، وحلمت مراهقات عديدات مع سطور (يوسف السباعى) الحالمة ..

تحرك .. تحرك .. يا قطار (فانتازيا) كثير الصخب ... تحرك !

★ ★ ★

قالت لـ (المرشد) وهى تنظر خارج النافذة :

ـ « .. وهكذا تجدنى قضيت أسود ساعاتى فى مملكة (شكسبير) هذه .. »

داعب قلمه الزنبركى ، وأراح ظهره إلى الوراء قائلاً :

ـ « تك تتك ! أردت أن أثبت لك أنه يمكن قضاء ساعات مثيرة حتى مع (شكسبير) الذى قلت إنه مملّ .. ما هو أكثر الأشياء إملالاً فى العالم بالنسبة لكِ ؟ »

ـ « يا له من سؤال ! حصّة الرياضيات طبعًا .. »

ـ من يدرى ؟ ربما وضعتك فى قصة شديدة الإثارة تدور أحداثها فى كتاب رياضيات .. وسيكون (فيثاغورس) معك طيلة الوقت .. »

ـ « إنك تثير شغفى حقًا ! »

قالتها وتثاءبت .. وراحت ترمق معالم (فانتازيا) من النافذة ..

كان رعاةُ البقر منهمكين فى شنق أحد لصوص الجياد على جذع شجرة ، و(أوليس) يحاول خداع المارد ذى العين الواحدة ، والدخان يتصاعد من

جذوع الأشجار الملقاة عند قدمى (جان دارك) المقيدة إلى جذع شجرة أغلظ ..

ومن شارع جانبى برزت خمس دراجات يركض خلفها كلب أسود ..

وكان راكب دراجة المقدمة صبيًا بادنًا عليه مخايل الذكاء .. لم تحتج إلى سؤال (المرشد) كى تعرف أن هؤلاء هم المغامرون الخمسة يتقدمهم (تختخ) .. وأن هذه هى شوارع (المعادى) كما تبدو فى (فانتازيا) ..

شارة الرجل الوطواط تسقط على الغيوم فى (جوتام سيتى) ، بينما يتسلق الرجل العنكبوت جدران ناطحة السحاب ، وفى مكان ما تجرى تجربة (كواترماس) الرهيبة ، بينما البحث عن (كنوز الملك سليمان) لا يتوقف ..

قال لها (المرشد) :

ـ « هل ترغبين فى النزول فى مكان ما ؟ »

ـ « دعنا نر المزيد من الاحتمالات .. »

أشار لها إلى بناية مظلمة كئيبة .. وغمغم :

ـ « مثلاً هذه البناية .. أنت لا تعرفين أن طفل

(روز مارى) سيولد فيها .. إن البناية ملأى بممارسى السحر الأسود وأكلة لحوم البشر .. هل ترغبين فى تجربة هذا الكابوس ؟ »

ـ « لا .. »

ثم بدا عليها أنها تتذكر .. فسألته والقلق على وجهها :

ـ « يا (مرشد) ! »

ـ « هم م ؟ »

ـ « ماذا يحدث لى فى عالم الواقع ؟ »

نظر لها غير فاهم .. وأعاد القلم إلى جيبه .. وبكياسة سألها :

ـ لماذا تسألين ؟ »

ـ « لا أدرى .. لقد مرّ دهر طويل نسيت فيه كل شىء عن (عبير) وعن (شريف) وعن طفلى الذى تركته فى أحشائى هناك .. ماذا حدث لى بعدها ؟ »

قال لها :

ـ « قلت لك إنه من الممكن أن يكون كل هذا حلمًا آخر من أحلام (فانتازيا) .. ألم أقل لك إنك فقط حلمت بذلك ؟ ربما لم يكن هناك (شريف) ولا طفل ولا كمبيوتر اسمه (دى ـ جى ـ ٢) ! »

ـ « لا تتحامق معى .. أنا أعرف جيدًا أن ما نحن فيه حلم .. وأن ما هناك حقيقة .. فلا تحاول خلط الأمور .. »

ـ « إن الحلم والحقيقة أشياء نسبية .. »

ومدّ يده فلدغ ساعدها بإبهامه وسبابته .. فتأوهت ..

قال لها وعلى وجهه علامة رضا :

ـ « أرأيت ؟ لقد اعتدنا أن نلدغ أنفسنا فى اللحظات المبهرة ، لنعرف ما إذا كان هذا حلمًا أم خيالاً .. معنى أنك تتألمين أن هذا هو الواقع بعينه .. دون زخارف ولا تعقيدات ! »

ـ « يا سلام ! هذا قياس خاطئ .. فنحن فى الأحلام نشعر بالألم حقًا .. نأكل التفاح ونستمتع بمذاقه حقًا .. لكننا ـ فى جميع الأحوال ـ لا نخلط بين الحلم والحقيقة .. »

قال لها وهو يحاول إنهاء المحادثة :

ـ « حسن .. يمكننا أن نزور عالم (عبير عبد الرحمن) ، لنرى ما إذا كنتِ على حقّ .. أم أنها مجرد حلم آخر من أحلام (فانتازيا) .. »

ـ « إن هذا سيصيبنى بالخبال حتمًا .. »

وارتعشت يداها .. واتسعت عيناها وهى تضيف :

- « هل تفهمنى ؟ أنا أحب الأحلام .. ولكن لا بد من نقطة ارتكاز .. لا بد من أرض صلبة أقف عليها قبل أن أحلم .. ولكن لا تقل لى إننى حلم يأتى من حلم ويذهب إلى حلم .. قل هذا لـ(ديكارت) أو (أرسطو) .. لكن لا تقله لى أنا .. »

- « أفهم ما تعنين .. يمكن للمرء أن يكون مسافرًا أبديًا له يوم فى كل بلد .. لكن لا بد من وطن .. لا بد من مصبٍّ تنتهى عنده الرحلة .. »

- « أحيانًا أتوهم أنك ذكى .. »

ابتسم ابتسامته السمجة .. وقال :

- حسن .. هل ننتظر إذن حتى يلوح عالم (عبير) التقليدى ؟ »

نظرت إلى خارج النافذة لترمق معالم (فانتازيا) ..

كانت الأحراش تحيط بالقطار .. وثمة نهر ملىء بالتماسيح .. وأسد يدنو من الماء بحذر ليروى ظمأه .. وأيائل تهرع فى الأفق خوفًا من خطر ما ..

وفوق الأشجار سمعت صوت مشاجرات القردة وسبابها الشرس ..

وسمعت طلقات رصاص كأنما أحدهم يتسلى بالصيد ..

سألت (المرشد) وهى تسند رأسها إلى إطار النافذة .

- « عالم الأدغال هنا .. أليس كذلك ؟ »

- « بلى .. إنه عالم حافل بالمتعة دون شك .. »

سألته ورأسها يصطدم برفق بإطار النافذة (وكانت تحب هذا الشعور فى طفولتها حين كانت تركب القطار مع أبيها لتزور قريته) :

- « هنا ألقى (طرزان) ؟ »

- « ربما .. وهنا يجوّل الغوريللا العملاق (كنج كونج) .. وهنا يتسلل (الشبح) بقناعه المميز .. وهنا يبحث المغامرون عن كنوز الملك سليمان .. وتطارد الغوريللا البيضاء فريق الإنقاذ فى رواية (الكونغو) .. وهنا تدور بعض أحداث رواية (هى) أو (عائشة) .. إن الغابة حلم كبير فى حدّ ذاتها .. لهذا كتب عنها حالمون كثيرون .. »

- « إذن دعنى أنزل هنا ! »

ـ « حقًا ؟ وعالم (عبير) ؟ »

ـ دعه للمرة القادمة .. »

ـ « ليكن ما يكون .. »

وجذب الحبل ليوقف القطار ....

فلم تكن (عبير) هى أول ولا آخر من لبّى نداء الأدغال ....

★ ★ ★

٢ ـ الحملة ..

ما إن غادرت القطار حتى توقعت أن تجد نفسها قردًا ، أو ترتدى فراء نمر ، أو تجد أن لها أنيابًا ..

لكن التحول الذى طرأ على ثيابها كان غريبًا جدًا .. فقط ازدادت أناقة وجمالا .. وأدركت من الشعر المنسدل على كتفيها أنها شقراء ـ فاتنة غالبًا ـ وأدركت كذلك أنها ترتدى ثوبًا طويلاً فكتورى الطراز (هى لم تكن تفهم معنى كلمة فكتورى .. لكنها تتصور أنها تعنى كثيرًا من الدانتيللا والزخارف) .. لم تكن ترتدى غطاء رأس ولا حذاء .. مما دلها على أن الشخصية التى تلعبها عوملت أسوأ معاملة ..

كانت الرمال فى كل مكان .. ومياه البحر ترتطم بالشاطئ ، فتتوغل حتى تبلل قدميها وتغطيهما بالزبد .. ثم تنحسر .. تاركةً رمالاً مبتلة لامعة ..

قالت للمرشد وهى ترمق قدميها المبتلتين :

ـ « قبل أن ترحل عنى كبعوضة ؛ أرجو أن تتكرم بتوضيح من أنا .. »

قال لها وهو يخرج القلم اللعين من جيب بذلته :

- « أنت (جين) .. (حين دودزويرث) .. فتاة إنجليزية حسناء .. »

- « وماذا أفعل هنا ؟ »

- « سؤال غريب .. بالطبع أنت هنا كى تنالى جزاءك ! »

- « أىّ جزاء ؟ »

- « جزاء كونك ابنة ذلك الهرطيق (بول دودزويرث) ! »

- « يا سلام ! لم أعرف أن أبى هرطيق .. »

- « إنه كذلك .. بل هو من ألعنهم .. والآن وداعًا ! »

وقبل أن تقول كلمة أخرى كان قد رحل ...

★ ★ ★

وعلى الشاطئ راحت تنظر حولها ، والريح تداعب أطراف ثوبها .. وشعرها الأشقر يتطاير كأجنحة عصفور ذهبىّ مغرد ..

وعلى يمينها ، وعلى بعد خطوات ، رأت ذلك العجوز الذى يرتدى قميصًا ممزقًا على اللحم .. وقد انفتح عنقه كاشفًا عن صدره المزدان بشعر أشيب

كندف القطن .. كان يبكى ويلوح بذراعيه محاولاً أن يجد الكلمات ..

أما فى البحر فكان هناك قارب صغير .. قارب به خمسة رجال يرتدون ثياب البحارة .. هذا لو كانت الكنزة المخططة بالعرض هى من ثياب البحارة ..

وكان أكثرهم شراسةً - فكلهم شرسو المنظر - يقف ممسكًا بغدّارةٍ ..

والغدّارة هى جدُّ المسدس كما قلنا آنفًا ..

وكان هناك رجلان يمسكان بمجدافين ، وينتظران الأمر بالتحرك ..

وسمعت العجوز يقول بصوت حلقى مبحوح :

- « للمرة الأخيرة أتوسل إليك يا (جون) ! »

لكن الرجل الشرس كان - والحق يقال - شرسًا .. وسمعته يقول فى غلظة :

- « لقد أغلق باب الرحمة يا دكتور (دودزويرث) .. »

- « إذن ارحموا ابنتى .. فلا ذنب لها .. »

- ذنبها أنها تحمل اسمك .. »

ثم التفت إلى من حوله .. وهتف :

- « فلنعد ! »

وسمعت أحد الجالسين فى القارب يترنم وهو يدفع المجداف :

ـ « كانوا عددًا من البحارة .

ـ جلسوا فوق نعش الرجل الميت ..

ها ها ها ! معهم زجاجة نبيذ .. »

أغنية البحارة الثملين الشهيرة .. وأدركت (عبير) أن هؤلاء السادة لا يبدو أنهم قابلون للتعاطف أو تغيير الرأى ..

القارب يبتعد بالسرعة التى تسمح بها مجاديفه ، عائدًا إلى السفينة التى تنتظر دون شك فى خليج قريب ، وفى مقدمته يقف الشرس ملوحًا بغدارته حتى لا يحاول المنبوذان ـ فى لحظة يأس ـ اللحاق بالقارب أو التشبث به ..

والتفتت (عبير) إلى أبيها الشيخ ، الذى ركع على ركبتيه يردد دونما كلل أو ملل :

ـ الأوغاد ! لا توجد قسوة كهذه فى الكون .. إننى آبى تصديق هذا .. »

قالت له بصوت رقيق أدهشها أنه لها :

ـ « لا عليك يا أبى .. إنهم لم ينجحوا بعد .. فمازلنا حيين .. »

لم يكن الرجل فى حالة معنوية تسمح بالتفاؤل .. فقال :

ـ « ليتهما قتلانا .. إن هذا أرحم من الموت جوعًا وظمأ .. »

التفتت إلى الأفق .. حيث بدا نطاق الأشجار الاستوائية كجنة من اللون الأخضر على مرمى البصر .. كلا .. لن يكون الموت جوعًا وظمأ هينًا ها هنا .. ليس مع كل هذه الخضرة وعلى خط عرض كهذا ..

إن الأدغال تقتل بأساليب أخرى على كل حال ...

مدّت يدها لتساعده على النهوض .. فتوكأ على ساعدها مرتجفًا ..

قالت له بلهجة اللوم :

ـ « لو كنت فقط كففت عن هرطقتك هذه .. »

بدا عليه الحنق :

ـ « هل جننت حتى تقولى ما يقولون ؟ أنت تعرفين أنهم عاجزون عن فهم تجاربى فى علم التطور .. ما زال أمامهم قرنان من الزمن حتى يفهموا نصف ما أقول ..

وكنت أحمق بما يكفى كى أحدثهم عن ذلك فى السفينة .. لهذا ثاروا علينا .. وقرّر القبطان عقابنا بالنفى إلى هذه البقعة التى لا يعلمها سوى الله .. »

ـ « وهل يملكون حق محاكمتنا وعقابنا ؟ »

ـ « إن سلطة القبطان مطلقة على سفينته .. ثم إنهم يملكون حق القوة .. وهو حق بليغ دامغ يسمح لمن يشاء بعمل ما يشاء .. »

سألته وهى تحاول تذكر التواريخ :

ـ « هل تعنى أنك شبيه بـ .. بـ (داروين) ؟ »

قال فى ملل :

ـ لا أعرف هذا الـ (داروين) .. كل ما أعرفه هو أننى عبقرى .. ويبدو أن أحدًا لن يعرف هذا سواى .. »

ثم نظر إلى الأشجار البعيدة .. وأردف :

ـ « علينا أن نتحرك .. فلربما وجدنا مأوى ما .. »

قالت وهى تتشمم الهواء :

ـ « هل هى جزيرة ؟ »

ـ « لا .. بل هو الساحل الغربى لـ (إفريقيا) .. ويبدو أننا ملامسون لخطّ الاستواء أو دانون من ذلك .. »



مدّت يدها لتساعده على النهوض .. فتوكأ على ساعدها مرتجفًا ..

ـ « هذا يفسر حرارة الجو .. »

وشرعا يمشيان فوق الرمال الحارقة ..

هو يجرّ قدميه فوق الرمل جرًا .. وهى تحاول ألا تحرقها الذرات الساخنة تحت قدميها العاريتين ..

ثمة رائحة ما للجو .. رائحة فيها بكارة وفيها خصوبة .. وفى سرّها اعترفت أن التجربة تروق لها ، لكنها لم تستطع إعلان ذلك بصوت عال ..

دخلا حزام الأشجار الذى سيزداد كثافة كلما توغلا فيه ..

أشكال عجيبة حقًا لجذوع الشجر ، لم تخطر لها ببال فى أكثر خيالاتها جموحًا .. دعك من الشجرة الملتوية إلى الخلف ، والشجرة التى تبدو كرجل يتكئ على مرفقه ، والشجرة التى فتحت ذراعيها كمصارعى (السومو) اليابانيين ولاحظ هذه الشجرة التى تبدو كشخص سقط على الأرض ، ويحاول النهوض فى عناء .. أليس ثقيلاً كشجرة ؟

قال لها الأب وهو يزداد تشبثًا بساعدها :

ـ « هل تريدين رأيى ؟ أشعر أن الإقامة هنا لن تكون فردوسًا ! »

ـ « غريب .. ولماذا أشعر أنا بالعكس ؟ »

ـ « لأنك غريرة بلا خبرة .. »

أمامهما تمتد الأشجار فى كثافة لا بأس بها ..

لكن (عبير) تتمكن من رؤية فرجة خالية منها على مرمى البصر .. وهذه الفرجة تحوى شيئًا ما .. شيئًا له معالم الكوخ ..

ـ « هذا كوخ ! »

ـ لا بد أنك بدأت الهلوسة .. »

تقدمته فى السير وكلها فضول كى تعرف ..

نعم .. لا هلوسة هنالك .. هو ذا كوخ خشبى بدائى أقيم فى هذه المساحة الخالية من الشجر .. طبعًا لأن الأخشاب التى صنع منها اقتطعت من هنا .. وقد تم ربط أجزائه إلى بعضها بحبال غليظة مهترئة ..

وتأملت طراز الكوخ ..

كلا ليس من الأكواخ البدائية التى تراها فى السينما .. بل هو محاولة بلهاء لتقليد كوخ كامل من الريف الإنجليزى .. السقف منحدر .. وتوجد مدخنة من الطين الجاف ..

إن من صنع هذا الكوخ هو أوروبى أو شخص يتصرف كالأوروبيين ..

اتجهت إلى الباب فقرعته مرارًا .. لا أحد يردّ ..

قال أبوها وهو يلحق بها لاهثًا :

- « خذى الحذر .. إن آكلى لحوم البشر موجودون فى هذا العالم .. وليسوا كـ (البعبع) الذى كنت أخيفك به فى طفولتك .. »

لكنها لم تكن خائفة .. وواصلت قرع الباب فى إصرار ..

ثم إنها تأملته باهتمام .. لم يكن موصدًا بعناية .. مجرد قطعة من الألياف تمّ لفها حول مسمارين بارزين وعقدها ؛ على سبيل المزلاج ..

- « هل معك سكين ؟ »

مدّ يده فى جيب سرواله الممزق .. ثم أخرج مدية صغيرة :

- « ها هى ذى .. سرقتها من السفينة .. كنت أنوى ذبحهم وإنقاذنا .. »

- « تذبح عشرين بحارًا غاضبًا بمبرد الأظفار هذا ؟ »

سألته دون أن تنتظر إجابة .. ومدّت يدها تحاول قطع الألياف .. لم يكن الأمر سهلاً لكنها فعلته على كل حال ..

وانفتح الباب ..

وككل باب من أبواب القصص كان يحدث صريرًا ..

★ ★ ★

وإلى الداخل المظلم تسللا ..

رائحة عطن ورائحة عضويّة ما .. رائحةٌ لم تستطع (عبير) تمييزها لكنها لم ترتح لها ..

كانت النافذة بقربها .. فمدّت يدها وفتحتها بعد أن قطعت مزلاجًا آخر من الألياف المجدولة .. وسرعان ما تسرب نور النهار إلى الداخل ليجيب عن عشرات الأسئلة المعلقة حتى الآن ..

أولاً : هذا الشىء الذى يعلو إطار النافذة ليس شيئًا .. إنه ثعبان غليظ من نوع (البوا) أو (الأناكوندا) - فهى ليست خبيرة بالثعابين العاصرة للأسف - يرقد هناك فى ملل ..

ثانيًا : الكوخ خاوٍ .. فلا توجد به فخاخ ، ولا قاطعو رءوس ، ولا شاربو دماء ..

ثالثًا : من الواضح أن الكوخ مهجور من زمن .. فالعناكب تلقى نسيجها الكسول على كل شىء ..

رابعًا : يبدو أن هناك فوضى لا بأس بها فى أرجاء المكان .. توجد حشية بدائيَة مصنوعة بيد غير خبيرة ، وقد قلبتها أيد غير رفيقة .. وتوجد منضدة خشبية تهشمت إلى نصفين ، وزجاجات مكسورة :

(ثور فى معرض الخزف الصينى) .. تعبير قديم جال بذهن (عبير) ولم تقدر على إخراجه من ذاكرتها طيلة الوقت ..

(ثور فى معرض الخزف الصينى) .. كناية عن الفوضى والدمار .

كان هنا معرض خرف صينى .. وكان هنا ثور ذو خوار ..

خامسًا : إن الهيكل العظمى الذى تبعثرت أجزاؤه على الأرض ؛ يعلن أشياء جد خطيرة ..

لاحظت هذا .. ولم تعلق ..

* * *

٣ - أحدهم كان هنا ..

كان الهيكل مبعثرًا .. لكن هناك من اجتهد ليضع أجزاءه معًا .. ورأت (عبير) أباها ـ عالم الفسيولوجى والتشريح المقارن ـ ينحنى ليلتقط عظام الساعد .. ثم يمسك بالجمجمة ويتأملها ..

بعد قليل قال وهو يضعها جانبًا :

ـ « إنها امرأة .. امرأة شابة .. »

ـ « وكيف عرفت ؟ »

ـ « لهذا أنا عالم .. ولهذا أنت فتاة عادية .. »

ابتلعت التلميح الساخر فى هذه العبارة .. إنه أبوها على كل حال .. ومن حقه أن يسلقها بلسانه أو بحزامه الجلدى متى شاء ..

لكنه عاد يواصل استنتاجاته الفذة :

ـ « لقد ماتت بعد تهشيم عنقها ! »

قالها وهو يفرك قطعة من العظم اللامى المهشم بين أنامله .. فسألته وعيناها تتسعان هلعًا :

- « من ؟ »

- « كيف لى أن أعرف ؟ »

- « ومتى ؟ »

- « منذ فترة طويلة .. ربما ربع قرن أو أكثر ! »

راحت (عبير) تتأمل الكوخ من جديد .. إن اللغز يزداد غموضًا .. هناك من قتل أحدهم فى هذا المكان منذ ربع قرن .. وبعد هذا جمع عظامه معًا وأغلق الكوخ فى إحكام .. سلوك غريب بعض الشىء .. كل القتلة يحاولون دفن ضحاياهم منذ تعلم (قابيل) الدرس من الغراب وحتى اليوم ..

قال الأب وهو يضع عويناته على قصبة أنفه دون أن يرتديها :

- « ثمة شىء آخر .. هذه المرأة بيضاء .. إنهم لم يخترعوا الطب الشرعى بعد .. لكنى أعرف جيدًا ما أتكلم عنه .. »

- « إذن هى جاءت مثلنا ها هنا .. »

- « حتمًا .. وبالتأكيد قتلها نفس الشىء الذى سيقتلنا ! »

- « إن هذا يثير البهجة فى نفسى .. »

فى النهار التالى راحت (عبير) تعدّ الكوخ للسكنى ..

كانت وأبوها قد قضيا ليلة نابغية فى العراء ، لأن أحدهما لما يجرؤ على إزعاج السيد (ثعبان) النائم فوق إطار النافذة .. وكان حجمه لا بأس به ، يسمح له بأن يلتف حول رقبة المرء فيغلق حنجرته تمامًا ..

فى الصباح استطاعت أن تقنعه بالالتفاف حول غصن شجرة .. لفّ رأسه المثلث الصغير حول طرفه ثم راح جسده ينساب فى نعومة حول باقى الغصن .. وكان هذا كافيًا ..

سرعان ما غادرت الكوخ ركضًا ، وطوحت بالغصن إلى أبعد ما يمكن .. داعية الله ألا تكون لدى الثعبان حاسة الاتجاه .. وأن يضلّ طريق العودة ..

ثم بدأت فى إخراج الحشية والمنضدة ، وجمعت العظام الآدمية فى خرقة .. ثم أخذتها وأبوها إلى بقعة بعيدة ، حيث تعاونا على دفنها والصلاة عليها ..

رحمك الله أيتها الشابة البائسة .. ترى هل كنت حسناء أم قبيحة ؟ طيبة أن شريرة ؟ رشيقة أم بدينة ؟ لا يهم .. إن العظام كلها تتشابه فى النهاية حتى ولو كان علماء التشريح لهم رأى آخر ..

بعد التهوية والتظيف صار الكوخ مناسبًا .. صحيح أن أحدًا لن يحسبه (هيلتون) المنطقة .. لكنه مأوى .. وهذا كافٍ ..

ثم إنها أعادت الحشية إلى داخل الكوخ .. إن تعريضها للشمس طيلة النهار كافٍ لطرد الحشرات بالتأكيد ..

هنا لاحظ أبوها أن القماش ممزق فى جزء منها ..

مدّ أنامله المدببة ـ الشبيهة بالمبضع ـ ليلتقط شيئًا يبرز بالداخل .. كان شيئًا مستطيلاً له أطراف حادّة مذهبة ..

وحين تمكن من إخراجه تبين لهما أنه صورة امرأة مع طفلها ..

امرأة شابة جميلة حقًا .. على كتفيها غلام رضيع عارٍ تمامًا .. ومكتنز بشدة .. وبالطبع كانت الصورة تحمل طابع الأبيض والأسود العتيق الخشن حين كان التصوير يتم على ألواح زجاجية .. والكاميرا اسمها (فوتوغرافيا) ..

ـ « بالتأكيد هى .. »

ـ « حرام ! إنها جميلة كيوم صافٍ .. »

ـ « والطفل ؟ »

ـ « لا تقلقى على الطفل .. »

قالها أبوها فى سأمٍ .. وأردف :

ـ « بالنسبة لوحوش الغاب لا بد أن هذا الرضيع كان نوعًا من الحلوى يؤكل دون مضغ ولا طهى .. أراهن على أنه لم يتألم لحظة .. »

ـ « أبى لا تقل هذا .. ربما لم يكن الطفل معها .. »

كانت يداه تعبثان فى ثقب الحشية .. حين اصطدم بشىء آخر .. هذه المرة كان شيئًا له حواف .. وله سمك .. وله غطاء جلدى .. كأنه ..

ـ « مفكرة .. إن هذه الحشية أشبه بجراب الحاوى .. ولن أندهش لحظة لو وجدت بداخلها رجل شرطة .. »

وأخرج المفكرة المهترئة التى انثنت أطرافها كأذنى كلب ..

وفتحها على الصفات الأخيرة .. وقرأ بصوت مسرحى :

ـ ٢٠ أبريل ١٧٦٥

إنهم لم يرحمونا .. المكيدة القذرة التى دبّرها (ماكميلان) للخلاص منى والحصول على ميراث ابنى ؟ قد أتت أكلها :

لا أرى أملاً دانيًا فى الخروج من هنا .. ولم تمر سفينة طيلة الأسابيع الثلاثة الأخيرة .. لحسن الحظ أن الماء والفاكهة متوافران ، ولولا هذا لجفَّ لبنى وما قدرت على إرضاع (جراى) ..

إننى عاكفة على قراءة (الإنجيل) والصلاة .. إن نجاتنا هنا تحتاج إلى معجزة من معجزات الأنبياء .. لكنى - إن هلكت - أدعو الله أن يرحم ولدى وأن يرسل عواصف انتقامه على الوغد (ماكميلان) .. » .

ثم إن الأب قلب صحفة أخرى .. وسأل (عبير) دون أن يرفع عينيه :

- « ماذا نستنتج من هذا ؟ »

- ستنتج أن (ماكميلان) وغد .. »

لم يعلق وراح يقرأ سطورًا أخرى :

- « ٢٢ أبريل ١٧٦٥ :

أربعة أسابيع لى ها هنا .. وما كانت لتطول إلى هذا الحدّ لولا أن رجال (ماكميلان) قد بنوا لى هذا الكوخ قبل التخلص منى .. حتى الذئاب قد تحوى بصيصًا من الرحمة برغم كل شىء ..

ربما كان الأحكم والأصوب أن أحاول اجتياز الغابة

لمعرفة ما يوجد هناك .. لكنى لا أملك الجرأة كى أفعل هذا .

إن أصوات الطبول الآتية من بعيد ، وأصوات زئير وحوش لا أعرف اسمها ، كل هذا يجعلنى غير متحمسة على الإطلاق لمعرفة المجهول .. فمن المؤكد يقينًا أنه أسوأ ..

ثم إن ذلك الزئير الليلى .. الزئير الذى أسمعه يوميًا منذ أسبوع .. ويتعالى أكثر فأكثر ؛ يقول لى أن ألزم دارى ..

كلما نظرت إلى (جراى) احتشدت الدموع فى عينى ، فهو لم يُبْتَلَ بفقد الأب وهو ما زال رضيعًا فحسب ، بل ابتلى بخيانة العم الشرس .. كل هذا من أجل ميراثه .. ألا تبًا للمال وللأثرياء وللفقراء الراغبين فى الثراء ؟ »

انتهت السطور ، فرفع الأب عينيه إلى (عبير) وقال :

- « هكذا اتضحت القصة تمامًا .. »

جففت دمعة سالت من عينيها إلى خديها .. وغمغمت :

ـ « البائسة ! لقد عاشت ساعات سوداء .. »
ـ « ساعات أخيرة سوداء .. فالمذكرات تنتهى هنا .. »
وأعاد المفكرة إلى .. موضعها فى الحشية .. وقال لها :
ـ هذا يفسر كذلك الاختفاء المحيّر لأرملة وابن لورد (ستوك) كانا فى رحلة بحرية ثم اختفيا .. ويزعم رفاق الرحلة أنهما سقطا فى الماء ، ربما لأن المرأة ـ فريسة الاكتئاب ـ قررت الانتحار .. »
ـ « أنت تعرف الموضوع ؟ »
ـ « حتمًا .. إن (لندن) كلها تعرفه .. ويبدو أن هذه الرقعة من القارة السوداء موعودة بالمنبوذين .. سواء لثرائهم أو لاتهامهم بالهرطقة .!.ويبدو أن جميعهم يموت .. »
ـ « لم نمت بعد .. »
ـ « لن يطول الأمر على كل حال .. »
وتثاءب .. ثم أعلن أن الوقت قد حان للحصول على مزيد من الثمار والماء للغداء .. فالموزتان اللتان التهمهما فى الإفطار لم تسدّا رمقه ..
تبعته وسط الأشجار فقط لتتأكد أنه لن يموت وحده ..

وكان هناك دلو صدئ متآكل وجداه فى الكوخ .. ووجدا أنه صالح لملئه بالماء ..
وكان ـ الماء متاحًا .. ثمة نهر قريب تتدلى الغصون فى مياهه .. وأمكنهما البارحة أن يريا غزالة تروى ظمأها هناك وقت الغروب ..
كان كلاهما يعلم أن الأسود تروى ظمأها ليلاً ، ولكن أحدهما لم يقل هذا للآخر .. كما أنهما كانا يعلمان يقينًا أن الأخشاب المزخرفة الملقاة فى النهر ليست سوى ظهور تماسيح .. لكنهما تظاهرا بالغباء .. فلم يكن مستحبًا أن يفكرا فى أن الماء الذى يشربانه هو ماء استحمام التماسيح ..

★ ★ ★

وفى الغابة تحرك الشىء ....
رأى الضوء يلتمع فى نافذة الكوخ .. وعرف أن هناك بشرًا ..
الحيوانات لا تستطيع الإضاءة لنفسها .. كما أنها جميعًا تعلم أن الكوخ محرّم عليها .. البشر وحدهم يقدرون على ذلك ..
والتمعت أسنانه البيضاء فى زمجرة غضب ..

★ ★ ★

كان المصباح يعمل بشكل لا بأس به ..

صحيح أنه ظل مدفونًا لزمن طويل .. إلا أنه لم يتلف .. ولم يقتض الأمر سوى تلميع زجاجه وغسله .. إنه يشتعل بوقود من شحم الخنزير .. ولم يكن هذا متاحًا .. لكن الأب استخدم بعض الكحول من زجاجة يحملها فى جيبه ..

أما عن إشعال النار بوساطة الأحجار فليس أمرًا عسيرًا على عبقرى مثله ..

هكذا نام فى رضا ..

وراحت (عبير) - (جين) تطالع مذكرات الأم البائسة على وهج المصباح المتراقص .. وتصغى لشخير أبيها المموسق ..

الكوخ آمن .. موصد بعناية ..

فلماذا تشعر بهذا التوتر ؟

★ ★ ★

٤ - هناك من يراقبنا !!

دار حول الكوخ وهو يكتم زئيره الحيوانى الغاضب .. الشعر ينتصب على مؤخرة عنقه .. وعضلاته تزداد توترًا ..

ألصق أنفه بخشب الكوخ ، وراح يحاول التلصص بين الشقوق - وما أكثرها - ليرى من هم هؤلاء المتطفلون ..

كان هناك وجه يترقرق فى الضوء ..

وجه حسناء شقراء يوحى بسلام لا يُصدَق ..

الحسناء تمسك بشىء ما فى يدها .. تتأمله فى اهتمام ..

إنها المفكرة ! ولكن كيف تقدر ؟ يبدو أنها تفهم حقًّا تلك النقوش غير العادية على صفحات هذا الشىء ..

إنه السحر !

لكن لا بد من تدمير هؤلاء الدخلاء حالاً ..

اعتصرت قبضته الخنجر ، وازدادت الأوردة على

ذراعيه بروزًا واحتقانًا .. إنهما اثنان .. ولا يبدو عليهما أنهما خطران .. رائحة رجل عجوز .. ورائحة هذه الأنثى .. على كل حال هو لا يعبأ بالخطر ..

ولكن .. ثمة شىء فى وجهها جعله يتصلب ..

لن يتحمل أن يرى على صفحة هذا الوجه الدهشة .. فالرعب .. فالألم .. فالخواء النهائى للمخلوقات التى كف قلبها عن الخفق ..

وهناك .. ظل وقتًا طويلاً يرمق المشهد ..

ثم أدار جسده على عقبيه .. وانصرف ..

* * *

فى الصباح فتحت (عبير) الكوخ ..

كان هناك شىء على بعد خطوات من الباب .. شىء ملوث بالدماء له فراء كث .. لم تكن قد رأت خنزيرًا بريًا فى حياتها .. وبدا لها هذا الحيوان مزيجًا من الكلب والفيل مبتور الخرطوم ..

لكن الأب قال فى دهشة ، وهو يضع العوينات على عينيه :

ـ « هذا .. خنزير برى .. »

ثم أشار إلى العنق المذبوح .. وأردف :

ـ « وهو لم يمت بسرطان القولون بكل تأكيد .. »

اقشعرَ جسدها وهى تتأمل الجثة .. كأنه نوع من التهديد الواضح .. مثلما يذبحون القط ليلة الزفاف فى الريف لإرهاب الزوجة المقبلة .

ـ « إذن فهناك بشر .. »

ـ « وهم يهددوننا .. »

هرش الرجل رأسه الأشيب .. وفكر لهُنَيهةٍ ثم قال :

ـ أدرى حقًا .. أعتقد أن مشقة تهديدنا لا تستأهل هذا .. يكفيهم أن يطلقوا صرخة عالية ونحن نيام .. »

كان القلق يعتصرها .. فسألته :

ـ « وماذا سنفعله ؟ »

ـ « لا أعتقد أننا سنفعل شيئًا .. لا يوجد مكان آخر يمكننا اللجوء إليه فلننتظر ما تأتى به الأمور .. »

وراحا ـ فى صمت ـ يرمقان جثة الخنزير البرى ، ورأساهما مفعمان بالأفكار التى لا داعى للكلام عنها ها هنا ..

* * *

فى الصباح التالى فتحت (عبير) الباب :

وحين نظرت عند قدميها أدركت أنها حمقاء ..

حمقاء حين لم تفهم أن الأصوات التى سمعتها ليلاً لم تكن بفعل رطوبة الخشب ..

هناك خنزير برى آخر ، مذبوح بنفس الطريقة ، ينتظرها على باب الكوخ فى ذات الموضع ..

صرخت ونادت أباها :

ـ « خنزير آخر ! »

برز لها من داخل الكوخ مذعورًا .. وراح يرمق الجثة بالغباء المناسب ..

ـ « هل أنت واثقة ؟ »

ـ « طبعًا .. ألم نقم بدفن الخنزير الأول أمس ؟ »

ثم نظرت له فى ثبات .. وسألته :

ـ « ما رأيك فى كل هذا ؟ »

ـ « لا رأى لى سوى أن هؤلاء القوم سيتسببون فى انقراض الحلاليف فى هذه الغابة .. لن نفهم مرادهم قبل هذا للأسف .. »

على الأقل كانا واثقين أن من يهددهما بشر .. بشر قادر على استعمال سكين ومقابلة إبهامه بينصره .. وبالتأكيد يمشى على قدمين ..

من المؤكد أن هناك خطرًا .. وخطرًا داهمًا ..



هناك خنزير برى آخر ، مذبوح بنفس الطريقة ، ينتظرها على باب الكوخ فى ذات الموضع ..

أتراه هو الخطر ذاته الذى تهدد المرأة وطفلها منذ ربع قرن ؟

إن المرأة لم تر خنازير ذبيحة لكنها سمعت زئيرًا مريبًا فى ظلام الليل .. فهل هو الشىء ذاته ؟

حاول الرجل أن يتذكر أسماء القبائل الموجودة ها هنا .. فيما يسمى الآن (غانا) أو (نيجريا) أو (الجابون) .. لكنه عجز عن ذلك ..

على كل حال إن القبائل آكلة لحم البشر توجد فى وسط إفريقيا ، ولا توجد على الساحل .. هذا هو ما يذكره .. ويأمله ..

* * *

وعند الظهر ـ بعد وجبة شهية من الفاكهة والفاكهة ـ تمدد العالم العجوز جوار الكوخ ، وقد تثاقل جفناه بفعل (تأثير التهبيط) الشهير ، والذى يعرفه كل من يملأ بطنه بسرعة ..

تصاعد صوت شخيره هناك إذ نام فى الهواء الطلق ..

جلست (عبير) جواره بعض الوقت .. تتأمل وجهه المجعد النيب المنهك .. وشعر الأشيب الذى ينساب ليغطى أعلى وجهه ..

كانت هناك ذبابة تطن هنا وهناك ..

حرارة الجو ورتابة الصوت تغريان بالنوم .. لكنها لم تنم ..

إنها تشعر الآن بمدى سخفها وجبنها .. أن تمر عليهما أربعة أيام وهما بعد فى هذا الكوخ لا يفكران لحظة فى تركه ..

من يدرى ؟ ربما على بعد خطوات من الغابة ، توجد مدينة مأهولة ، أو حامية انجليزية أو فرنسية أو هولندية ..

لقد اتخذا وجودهما هنا فى (مرفأ الأمان وسط بحر الأخطار) قضية مسلمة ولكن من أدراهما أن هذا المرفأ مرفأ حقًا ؟

ليس أهون ـ عندما يجد الجد ـ من تحطيم أخشاب الكوخ ، أو حرقها .. وعندئذ يعدو موقفهما فى غاية الضعف ..

فتاة رقيقة مثلها ـ نعم .. فهى الآن جميلة رقيقة ـ وشيخ ، مزودان بسلاح هو مبرد أظفار .. يا لها غنيمة باردة !

إن عليها أن تحزم أمرها ..

عليها أن تنتهز الفرصة ـ نوم أبيها ـ وتحاول التوغل فى الدّغل قليلاً .. إن المغامرة لن تكون مريعة إلى هذا الحدّ لأن الأدغال ـ حتمًا ـ ليست كما تظهر فى السينما ..

بحثت عن بعض الألياف كالتى أغلق بها الكوخ ، ولفتها حول قدميها العاريتين على سبيل الحذاء البدائى .. إن دخول أشواك فى القدم لن يكون مستحبًا ها هنا بالتأكيد ، مع عدم وجود مصل للكزاز (التيتانوس) ..

تأكدت من أن شعرها منسق .. وثوبها مهندم ..

باختصار رتبت كل احتياطاتها لعملية اكتشاف الأدغال هذه ..

ونهضت .. وكالمسحورة راحت تبتعد عن الكوخ وعن أبيها النائم ..

★ ★ ★

إن الأدغال مفزعة حقًا لمن لا يعرفها ...

فهناك أشياء تتحرك تحت قدميك ، وفوق رأسك ، وخارج مجال إبصارك .. كل غصن شجرة قد يلتف حوله ثعبان وقد لا يكون .. كل بقعة رطبة جوار الماء قد يكون بها تمساح أو لا يكون ..

وخلف ظهرك قد يكون الأسد يتحفز للوثوب وقد لا يكون .

السماء تختفى وسط أغصان الأشجار المتشابكة .. ورائحة التخمر تخنق خياشيمك .. وطريقك مسدود بأوراق النباتات .. هنا فقط يمكنك أن تعرف فائدة الدليل الذى يتقدم المستكشفين فى السينما ، وفائدة السيف الذى يحمله ليحش به النباتات ويفتح الطريق ..

لكنها تواصل التقدم .. ببطء وحذر ..

رفعت رأسها لأعلى فوجدت أن هناك حشدًا من المخلوقات ، فقط كلها تعرف كيف تبدو كجزء من الأشجار ..

ثمة عناكب هائلة الحجم تتدلى ـ بخيط واحد ـ من أعلى .. وثمة ثعابين تتثاءب فى كسل فوق غصون الأشجار ..

وصوت قدميها على الأعشاب الجافة !

كرراش .. شراااك !

يا له من صوت ! كأن هناك قبيلة كاملة تقتفى أثرها فى كل خطوة ، تخطوها .. وكلهم يتصلبون عندما تتصلب !

شررراك ! كراااش !

الأشجار تتزايد كثافة .. ليست معها ساعة لكنها بالتأكيد قد توغلت فى هذا الدغل ساعتين أو أكثر ولا جدوى .. لا بصيص من أمل ..

لا شك أن ساعتين أخريين ستكفيان لجعل الظلام يحلّ .. وعندها لن تعود أبدًا .. فى حين يمكنها الآن أن تعود إذا تتبعت آثار قدميها على العشب المهشمَ .. العقل زينة .. قالتها لنفسها وتنهدت ..

وقفت بعض الوقت تفكر وتضعى لأنفاسها حين ..

شررراك ! كراااش ! كرونش !

هذا صحيح ! هناك من يتحرك وراءها فى هذا الدغل .. لم يكن الأمر مجرد صدى لصوت خطواتها إذن !

وكفَ قلبها عن الخفقان .. هذا أكيد ..

ولكن أين ؟ أين يقف ؟ ولو عادت فى نفس الطريق هل ستقابله ؟

ومتى سيهاجم ؟ هل تفرَ إلى الأمام ؟ لا .. الفرار سيجعله ينقضَ أسرع .. أين ؟ كيف ؟ ماذا ؟

★ ★ ★

٥ - المنقذ الذى لا وجه له ..

(إن التراجع فى ظروف كهذه أخطر من التقدم) ..

شرااك .. كررراش !

يا قلبى لا تتوقف .. القدمان حين تستحيلان إلى عودين من (السباجتى) .. الإغماء يأتى فى ظروف غير طبيعية .. وغير مناسبة ..

خذ عندك مثلًا خالها السبّاك الذى كان معلقًا بالحبال ، يحاول فكّ (جلْبة) ماسورة صرف من الحديد الزهر .. حين غاب عن الوعى .. و .. وهوى .. ما .. ما الذى ذكرها بهذا الآن ؟

ليس الوقت مناسبًا كى ..

وهنا أحست أن صدرها يضيق .. وأن قطارًا من قطارات الصعيد يلتف حول خصرها .. وأن فمها ينغرس فى غابة من الشعر .. وأن قوة كاسحة لا تصدق تحملها لأعلى .. وأن زئيرًا حيوانيًا يثقب مسمعيها ..

وهنا جاءت لحظة الإغماء .. وكانت مناسبة جدًا ..

★ ★ ★

كان هو هناك ..

رآها ـ ذلك الكائن الأشقر الجميل ـ تدخل الدغل فى حماقة .. وكان يعرف ما سيحدث حتمًا ..

إنه يعرف أن هذه القرود البيضاء تسعى لحتفها دائمًا دون سبب .. ربما كان هو الفضول المدمر .. ربما شجاعة الجهل .. لا يدرى ..

كل ما يعرفه هو أن دخول الأحراش دون سلاح .. ولا استعداد .. ولا رفاق معناه الهلاك المحتم ..

لم يكن يريد أن يتأذى هذا الكائن الجميل ..

شىء ما فى وجهه يذكره .. بماذا ؟ لا يدرى .. ربما يبدو مثل المرأة التى توجد فى الكوخ مع رضيعها .. وهو يحبٌّ تلك المرأة .. لا يدرى سببًا لذلك .. لكنه حبٌ من نوع خاص كالذى كان يشعر به تجاه القردة (كالا) وهى تلقمه ثديها رضيعًا ..

لم يكن يعرف أن المرأة الشقراء التى رأى صورتها فى الكوخ هى المرحومة أمه .. وأنه لهذا أحبها بالسليقة .. بالفطرة ..

ولأسباب مماثلة شعر بميل ما نحو تلك الفتاة الشقراء التى تحتل الكوخ .. ولحسن الحظ لم يكونوا

قد اخترعوا عقدة (أوديب) بعد كى تفسد الأمر كله .. بالنسبة لنا لا يوجد تشابه بين الأم و (عبير) .. لكن بالنسبة له تتشابه كل القرود الشقراء الإناث إلى حدّ مدهش ..

وكان يعرف ما سيحدث فى الدغل ...

ها هى ذى القردة الشقراء تمشى فى حماقة وخرق ..

إنها تمشى تحت شجرة الثعبان (كا) دون أن تأخذ حذرها .. لحسن الحظ أن (كا) كان متخمًا ..

ودون حيطة داست على أوراق (أونجا) السامة ..

ولم تخف أن تمرّ قرب (شيتا) الذى يغفو فوق غصن شجرته ..

وهنا بدأ يشم الرائحة المميزة .. رائحة الموت القادم ..

هذا لن يكون غريبًا .. فتلك هى منطقته .. وما كان ليحبّ أن يدخلها لولا أن الضرورات تبيح المحظورات ..

(كورشاك) ذكر الغوريللا الضخم .. والذى احترق وسط لهيب النيران الذى سببته إحدى الصواعق ، ولم يمت .. لكنه صار مجنونًا كالجنون ذاته .. ولم يعد أحد يجسر على الدنو من منطقته ..

وعرف أن (كورشاك) قد شمَ رائحة الفتاة ..

لـن يحـاول التهامهـا بالتـأكيد .. فهـو يعـرف (كورشاك) ..

سيكتفى بتحطيم ظهرها إلى نصفين .. ثم يتسلى بضرب الجسد المشلول فى جذوع الأشجار .. وبعدها سيبدو منظرها أقرب إلى عجينة الموز المختمر منها إلى أىَ شىء آخر ..

وفى اللحظة التاليةَ حدث الهجوم ..

كجبل من العضلات الغاضبة وثب (كورشاك) من فوق غصون الأشجار .. وهو يزأر زئيره المريع الذى مات بسببه مغامران منذ عامين ..

وعلى الفور امتدَ الذراع الحديدى المشعر ليحيط بخصر الفتاة ..

وكشر الفم عن عدد من الخناجر نسميها ـ مجازًا ـ بالأسنان ..

من الواضح أن القردة الشقراء قد فقدت وعيها ..

كلهم يفعلون ذلك ..

وهنا حان الوقت الحاسم .. إن (كورشاك) يمسك بالفتاة مشدودة بين ذراعيـه المفرودتين ، وهى الخطوة

التى يليها ـ حتمًا ـ تحطيم سلسلة الظهر إلى نصفين .. كما نفعل نحن ـ لو كنا مفتولى العضلات ـ بعود من قصب السكر . إنه الوقت المناسب للتدخل ..

يثب من فوق غصن الشجرة الذى يقف عليه ، متعلقًا بحبل من النباتات المتسلقة يتحكم فيه بعناية ، ويقذف بنفسه أمام الوحش ..

ومن حلقه تنبعث صرخـة لا يمكن لحلق آدمى أن يخرجها :

ـ كريغهاه ه ه ه ه ! »

يتصلب الوحش .. يلقى بضحيته أرضًا ..

الشعر على عنقه ينتصب .. حناجره تزداد بروزًا ..

يطلق زمجرة أخرى أشدَ .. ونصف جسده المحترق المشوَه يرتجف بـالغضب .. وكعادة الغوريلا يكـور قبضتيه ويلكم صدره مرارًا ، محدثًا صوت الطبول الإفريقية .. بوم بوم بوم !

لكن صاحبنا لا يتراجع ..

إن الـدرس الأول الـذى تتعلمـه فـى الأدغـال هـو : لاتفرَ أبدًا مـن غوريلا غاضبـة .. عليـك أن تثبت وتبادلها نظرات الغضب ..

ولا بأس بلكمات مماثلة على الصدر ..
- « كريغاه .. طرازان .. بوندولو .. يا ييك ! »
أصوات القردة هذه يفهمها (كورشاك) ..
لكن الغوريللا يبدو مصممًا على القتال ..
لقد خرق القرد الأبيض المعاهدة التى تنصّ على ألا يحاول الدنو من هنا .. ولن يكون هناك مجال للتسامح ..
وينقض الوحش على القرد الأبيض ..
وينقض القرد الأبيض على الوحش ..
ومن إزاره المصنوع من جلد الفهود ، ينتزع خنجرًا مريع الشكل .. ويولجه فى بطن الغوريللا ..
لكن الوحوش لا تموت بهذه البساطة ..
حسن .. كان قتالاً مريعًا لا يمكن وصفه ..
هنا تظهر فائدة التصوير السينمائى فهو يوفر الوقت ، بدلاً من إضاعة خمس صفحات فى وصف ممل على غرار : ضربه فى فكه .. فعضه فى أذنه فطعنه فى صدره .. إلخ ...
المهم أن المشهد انتهى بالنهاية الخالدة ..
الغوريللا صريع على الأرض يعالج سكرات الموت ،

والقرد الأبيض يضع قدمًا على صدره المشعر ، ويرفع عقيرته للسماء مرددًا :
- « ها هاه هاهاه هاهاه ! »
إنها لوحة خالدة محفورة فى ذهن كل من قرأ رواية لـ (إدجار رايس بوروز) .. أو رأى فيلمًا من بطولة (جونى ويسمولر) ..
وحين انتهى القرد الأبيض من طقوس النصر ؛ انحنى ليرفع الفتاة إلى كتفه .. ويغادر المكان ..

★ ★ ★

أفاقت (عبير) من نومها لتجد نفسها راقدة جوار أبيها خارج الكوخ وكان الغروب يغلف العالم بلونه الأرجواني ..
هل حقًا نامت كل هذا ؟
فجأة تذكرت .. لم يكن حلمًا .. إن ما حدث حدث حقًا .. وهذه الخدوش فى معصمها والتمزقات فى قميصها تدل حقًا على ما كان ..
لقد هاجمها وحش ما .. ويبدو أنها فقدت الوعى ..
ولكن هناك من حملها إلى هنا .. ومن المؤكد أنها لم تمت بعد ..
(أين ؟ ومن ؟ وكيف إذن ؟) على رأى شاعرنا



الغوريللا صريع على الأرض يعالج سكرات الموت والقرد الأبيض يضع قدمًا على صدره المشعر ، ويرفع عقيرته للسماء مرددًا : ـ هاهاه ! ..

الكبير (كامل الشناوى) .. هل لها ملاك حارس ما ؟

كان أبوها ـ لحسن الحظ ـ حيًا يرزق ، لكن نومه أثقل من نوم أهل الكهف ، فلا بد أن زئير الوحش كان قادرًا على هزّ الكوخ ذاته ..

هزّته ليصحو .. فأصدر همهمة ولاكَ شيئًا ما فى فيه ..

وتساءلت : هل تخبره بما حدث ؟

بالطبع لا .. فهو لن يصدق .. وسيلومها على تهورها لو صدّق .. ثم إنها لا تملك أيّة معلومات عن أىّ شىء .. مجرد رؤيا مختلطة ..

وبزغ شىء مستدير أبيض فى الأفق ..

احتاجت لوقت لا بأس به كى تتذكر أن هذا هو البدر ..

إنها لم تره منذ شهرين ..

حنين مُلحّ انتابها وهى ترمقه ، شاعرة باشتياق إلى هذا الشىء الوحيد الباقى من عالمها القديم .. على الأقل هو معها ويعرف أين هى ..

القمر صديق قديم ودود تلقاه فجأة فى مكان غريب .. فتشعر للحظة بالأمان والحاجة إلى أن تظل بقربه أبدًا ..

كان أبوها قد صحا .. وبصوت خمول قال :

- « حلمت أنك تصرخين ! »

ربتت برفق على كتفه العظمىّ .. وهمست :

- « كنت أصرخ لأننى حلمت أنك تصرخ ! »

- « لا بد أن هناك شيئًا مضحكًا فى هذه القصة .. لكن عقلى ملبَد الآن ولا يستطيع فهمها .. »

وتثاءب وهو ينهض ...

★ ★ ★

أخيرًا انطفأ المصباح فى الكوخ ..

ومن مكانه بين الغصون ، راح يرمق الملجأ المظلم بمن فيه من نائمين ..

كان بحاجة ماسة إلى دخول الكوخ .. فهو يفعل ذلك بانتظام منذ نعومة أظفاره .. يدخله ويلمس كل شىء ويتشمم كل شىء .

إن القصة مبهمة فى ذهنه ..

لكنه يعرف جيدًا أنه ينتمى إلى هذا المكان ..

حين فتح عينيه على العالم لم يعرف له أمًا سوى القردة طيبة القلب (كالا) .. كانت تركبه على ظهرها .. وتلتقط الحشرات من شعره لتلتهمها فى شغف .. وتطعمه وتسقيه ..

كانت طيبة القلب حقًا .. ومنها تعلم كيف يزأر .. وكيف يتنقل بين الأشجار بحرية تامة مع إخوانه من قردة العشيرة ..

لكنه كان يعرف أنه مختلف ..

يداه وقدماه لا يغطيهما الشعر .. ولا توجد له أنياب حادة فى فمه .. كما أنه من ناحية العضلات كان أضعف بمراحل من أترابه ..

لكن ذكاءه كان واضحًا .. وأبسط المعضلات التى تحير الآخرين كانت بالنسبة له أمرًا مفروغًا منه ..

لهذا اعتبر القرد الصغير نفسه (طفرة وراثية) غير مبررة ..

وفى يوم أخذته (كالا) - وهو غض غرير - إلى الشاطئ لتريه البحر .. لم يكن قد رآه قط .. وحسبه جدولاً .. الفارق الوحيد بينه وبين الجدول هو أنه لا توجد له ضفة أخرى .. وأن مياهه تثور وتعربد طيلة الوقت كأنما تسكنها روح مجنونة .. ثم إن لها مذاقًا غريبًا كمذاق الدم أو الدموع ..

لكن ما أثار فضوله حقًا هو هذا الشىء المصنوع من الأخشاب ؛ الواقف هناك فى فرجة من الأشجار قرب الشاطئ ..

لم يفهم ما هو قط .. لكن (كالا) حملته على كتفها ، ودخلت به إلى المكان .. وفى الداخل كانت رائحة الموت تفعم الأنوف .. إنه يعرفها ويألفها جيدًا كلما وجد حيوانًا ميتًا فى الغابة ..

كانت هناك عظام قرد عارية من اللحم .. كلا .. ليس قردًا .. لأن عظامه رقيقة خفيفة الوزن ..

ومن الأم فهم أن (كورشاك) العجوز كان هنا .. وأنه هو من فعل هذا .. إن (كورشاك) مجنون تمامًا ـ وهو بالمناسبة أبو (كورشاك) الذى قتله منذ ساعات ـ وله أنياب حادة .. ويبدو أنه اقتحم الكوخ ذات مساء ليفاجئ القرد الرقيق ويقتله .. ويبعثر كل شىء فى الكوخ فى كل صوب ..

أما الشىء الآخر العجيب الذى أخبرته به (كالا) فهو أنه جاء من هنا ! من هذا المكان !

إذن هو ليس قردًا حقيقيًا .. لم يكن له أب من القردة .. لقد وجدته (كالا) وحيدًا فى الكوخ يعول ويبكى جوعًا جوار جثة القردة التى قتلها (كورشاك) .. وكان (كورشاك) قد رحل ..

ويبدو أن قلب (كالا) قد رقّ له .. فحملته على

ظهرها .. وغادرت المكان لتلحق بالعشيرة .. التى لم تجد عُسرًا فى قبوله بينها .

وترعرع الطفل وسط أهله الجدد ...

عاريًا كقرد .. قويًا كقرد .. سريع الحركة كقرد .. يعرف كل شبر وكل معلومة عن الغابة .. ويعرف اسم وعادات كل حيوان هنا ..

اكتسب حاسة شم الحيوانات الحادة .. واستطاع أن يروض حنجرته على إصدار صرخاتها .. وكلها ذات معنى ..

* * *

وجاء اليوم الذى عاد فيه إلى الكوخ ..

دخله .. وراح يتفقد كل شىء فيه .. كانت هناك قطعة ما من خامة لم يستطع فهمها .. وكانت محشوة بأشياء بيضاء لذيذة المذاق (بالطبع نحن نتحدث عن الحشيَّة وما فيها من قطن) .. وكان بها كائنان صغيران لا يتحركان .. أحدهما قرد طويل الشعر أشقره .. والآخر قرد صغير عارٍ .. ولم يحتج إلى ذكاء كثير كى يعرف أن القرد الأول هو صاحب هذه العظام ..

وهنا خطر له خاطر ملحّ ..

هل تكون علاقته هو بهذا القرد كعلاقة باقى القردة الصغيرة بأمهاتها ؟ إنه لم يأت حتمًا من بطن (كالا) .. هذا أكيد .. فهل جاء من بطن هذا القرد جميل الشكل ؟ إن التشابه قوى بينهما .. فكلاهما أبيض البشرة غير مكسو بالشعر ..

عندئذ يكون هذا القرد هو أمه .. ويكون (كورشاك) العجوز هو قاتلها .. وراح يجمع العظام المبعثرة فى الكوخ فى مكان واحد .. ثم أحكم غلق الباب .. وتبوّل جوار الجدار على سبيل إثبات الملكية .. فهذا هو قانون الرائحة الذى تحترمه الحيوانات ولا تخرقه أبدًا .. ومن هذه اللحظة لن يجرؤ حيوان واحد على محاولة التسلل إلى هنا ..

اللهم إلا الحيوانات التى لا تملك حاسة الشمّ أصلاً مثل هذين الدخيلين اللذين شفع لهما هذا قليلاً .. وكان على استعداد لأن يسامحهما ..

★ ★ ★

ومرت الأيام بهذا الفتى ..

ازداد قوة وحيلة وبراعة .. واضطرت القردة إلى أن تعلن عن خنوعها له فهو يجيد كل ما تعمله ويعمل ما لا تجيد عمله ..

لو كان يعرف العدّ لعرف أن له ثلاثين ربيعًا ها هنا ..

وكان قد ازداد خبرة بما حول الغابة .. وزار بعض القرى المحيطة بهم .. وعرف الكثير عن هؤلاء القوم سود البشرة الذين يكونون مجتمعات خاصة بهم ، كما عقد علاقات حميمة مع بعضهم ..

كانت لغتهم غير مفهومة بالنسبة له .. اللهم إلا من بعض عبارات وجمل يفهم منها المعنى العام للكلام ..

على كل حال هو يدرك أنهم يسمونه (الرجل القرد) .. أو ـ كما فى بعض الأنحاء ـ يسمونه (طرزان) ..

لا يدرى سبب هذه التسمية .. لكنها راقت له ..

ولقد عرف أن البشر مثلهم مثل القرود .. لكنهم قرود تفكر وتقدر على البناء والقتال بالرماح .. إن الإنسان لا يملك حاسة الشم الحادّة ، لهذا امتلك الكلاب .. وهو بلا مخالب ولا أنياب لهذا ابتكر الخناجر والرماح .. وهو رقيق الجلد لهذا أمسك بالدروع .. وهو بطئ فى عدوه لهذا استأنس (الظليم) ـ ذكر النعامة ـ ليركب فوق ظهره ، ويسبق (شيتا) ذاته ..

إن الإنسان هشّ تمامًا .. لهذا بنى المنازل والحصون ليتوارى فيها ..

ولولا عقله لكان أول مخلوق ينقرض من على وجه البسيطة ..

وكما أن الإنسان يعرف الخير ، كان لا بد أن يعرف الشرّ ..

كالقرود يتقاتل ويقتل .. ويتلف الزرع .. ويحرق الديار ..

كان (طرزان) يعرف أنه إنسان .. وأن هؤلاء هم قومه الدائمون ..

لكنه كان يعود دومًا إلى القردة حيث يكون على راحته ..

وحيث يستطيع أن يلبى نداء الأدغال .

★ ★ ★

٦ - أخطـــار .. أخطـــار ..

غول يخرج من الأدغال .. يلتهمها ثم يصنع من الطين تمثالا يشبهها .. التمثال يعود إلى الكوخ ويعيش حياتها .. وأبوها لا يلاحظ الفارق ..

يا للهول ! إذن هى التمثال لا (عبير) .. نداء الأدغال يدوى .. الطبول .. أبوها مقيد فى قدر على النار بينما قبائل (الزولو) ترقص حوله بالرماح ، بانتظار ساعة انتهاء الطهى .. العرق .. العرق سيتلف الحساء ويجعله مالحًا أكثر من اللازم .. طبق الملوخية كان مالحًا ولم تستطع أمها أن تذوقه .. والرمح يخترق عنقها هى .. لكنها لم تمت .. لا يجب أن تعلن هذا .. و ..

وصحت من النوم والعرق يبللها ..

كانت ليلة رهيبة .. ولديها الأسباب التى تبرر ذلك ..

وحين فتحتْ باب الكوخ ، عرفت أنها ستجد الخنزير البرى ذاته ، فى الموضع ذاته .. وربما بقطع ذات الوريد فى العنق ..

وهنا فهمت الأمر برمته :

إن هذا الخنزير هدية .. لا أحد يريد إرهابها .. لكنه يقدم لها هذا الخنزير على بابها كل صباح لتأكله .. وهو بهذا يعلن عن مودته وحسن نواياه ..

إن منقذها الغامض يكلِّف نفسه كل ليلة بإعداد وجبة الغد .. وبالتأكيد هى تجرح شعوره كل يوم حين تتخلص من هذا الحلوف البرى .. لكن لا حيلة لها فى هذا .. ومن جديد عاودها شعور الدفء الأنثوى والرضا عن النفس ، ذات الشعور الذى أحسته حين راح (الجوّال) يدافع عنها فى الغرب الأمريكى .. إن فكرة الفارس الغامض الساهر على حمايتها ليثلج صدرها ..

ودون تعقيدات كثيرة يمكن استنتاج أن الشخص ذاته هو من أنقذها أمس ..

نظرت إلى الأحراش .. وتساءلت :

تُرى أين أنت ؟ تُرى من أنت ؟

★ ★ ★

جاء المساء ..

واستقر القمر - ببسمته الهادئة الرزينة - فوق السحب يتأمل الأدغال ..

وجلست (عبير) فى الكوخ تطالع مفكرة المرأة إيّاها ..

كان ذلك حين سمعت طبولاً بعيدة ..

طبول ؟ إذن هناك بشر ها هنا .. ولكن من ؟

كان الفضول هو الذى قتل القط .. والرضا هو الذى أرجعه .. لهذا أغلقت المفكرة ، واختلست نظرة نحو أبيها النائم .. ثم اطفأت المصباح ..

وفى الخارج بدت الأشجار والطبيعة كأنها لوحة تأثيرية استخدم فيها طن من اللون الأزرق السماوى .. واللون الفضى .

كل شىء أزرق .. لكنه واضح جلىّ ..

من أين جاءت الطبول ؟ من هنا ؟ من الشرق ؟

راحت تمشى فى حذر وخفة .. كثعبان يزحف نحو يمامة نائمة .

وأدركت أنها تدنو من البحر أكثر فأكثر ..

والآن تستطيع أن ترى رقصة المشاعل .. وترى الأجساد السوداء المتراقصة تلتمع فى وهج النار ..

وعرفت أنهم حوالى مائة رجل ..

كيف جاءوا ؟ إن الإجابة هناك .. فى البحر .. حيث

يوجد عدد من القوارب البدائية من النوع الذى يسمونه (كانو) وقدرت أن القارب يمكنه حمل عشرة رجال ..

تمددت على بطنها فوق الأعشاب ، وراحت ترمق ما يحدث ..

كان هناك ساحر .. بالتأكيد هناك واحد .. القناع الملوّن الوحشى على رأسه .. والنقوش على جسده العارى .. وحركاته المجنونة هى الأكثر حماسًا بين الموجودين ..

وكان هناك ضحايا .. أربعة أو خمسة رجال يبدو عليهم الذعر والقنوط .. وواضح أنهم أسرى فى معركة ما .. واضح كذلك أنهم مركز اهتمام الحفل ..

وأدركت أن الدائرة تضيق حول هؤلاء ..

ثم أعطى الساحر إشارة ما .. فتقدم أربعة رجال فحملوا أول الأسرى حملاً من ذراعيه وقدميه ، وأجبروا رأسه على الاستلقاء على صخرة ..

حسن .. لن أطيل وصف المشهد لأن هناك آنسات رقيقات ها هنا .. ويمكن لأىّ شخص ذى خيال أن يتصوّر ما حدث بدقة .. فكلنا رأى عملية ذبح الدجاج طبعًا ..

وتكرر المشهد خمس مرات ..

أما (عبير) فظلت ترمق ما يحدث لسبب واحد : الذعر جعلها لا تملك عضلات تتحرك بها .. أو عضلات تغلق بها جفنيها .

ثم بدأت وليمة صاخبة ..

مرة أخرى لن أطيل الوصف من أجل الآنسات الرقيقات .. لكننا جميعًا نعرف دون شك حفلات أكل لحم البشر النيئ هذه ..

وأدركت (عبير) ـ بعد ما استعادت فهمها للعالم ـ أن هذا الذى يحدث يتكرر كثيرًا .. إنهم يجلبون أسراهم فى الحرب إلى هذا الموضع ليأكلوهم دون أن تظل الأرواح باقية تضايقهم ، وهو ما كان سيحدث لو أكلوهم فى قريتهم الأصلية ..

إنها عادة بدائية قديمة لم تندثر تمامًا كما هو واضح ..

الآن انتهى أوان المشاهدة ، وحان أوان التراجع ..

حان أوان العودة للأب لإخباره بأنهما اختارا ألعن موقع فى إفريقيا كى يحتميا فيه .. وأن الغابة بما فيها ومن فيها لن تكون أسوأ من هنا ..



استطاع أن يرى هذا من موضعه بين صخور الشاطئ ..

بدأت تزحف للخلف .. ببطء .. ببطء ...

وأخيرًا وجدت فرصة فى العشب تسمح لها بأن تقف على قدميها وتعود ركضًا إلى الكوخ .. منحنية نعم .. لكن ليس على ركبتيها :

لكنها أدارت رأسها لتجد أنها تنظر مباشرة فى وجه مغطى بالأصباغ كمهرج سيرك .. وأن هناك رمحًا مصوبًا إلى عنقها ..

لقد كان واحدًا منهم !

★ ★ ★

(الأسامبارا) قد قبضوا عليها !

استطاع أن يرى هذا من موضعه بين صخور الشاطئ ..

لقد رأى المشهد من البداية .. وكان بوسعه أن ينقض ليجندل من هاجمها ، لولا أن رجلين لحقا به ..

و (طرزان) يعرف (الأسامبارا) جيدًا .. فهم أقوياء جدًا .. ومن العسير حقًا أن تقهر ثلاثة منها حتى لو كنت (طرزان) .. ثم إنهم يحملون رماحًا .. والرماح تتيح القتل دون التحام جسدى ..

إن قرية (الأسامبارا) تقع على بعد ثلاثة أيام

من هنا .. وهو قد زارها وسرق منها الزهرة الحمراء (جوا) ـ ما نسميه نحن النار ـ أكثر من مرة .. واستطاع أن يعرف الكثير عنهم .

إنهم قساة شديدو العنف والغلظة .. يعبدون صنمًا قبيحًا يتوسط قريتهم .. وهم شديدو التطيَر يؤمنون بكل حرف قيل عن الأرواح الشريرة والخيَرة .. لهذا يأكلون البشر كطقس دينى مهم فى عقيدتهم ..

كل الزنوج يهابون (الأسامبارا) .. وإغارتهم على قرية معناها إهلاك الحرث والنسل فيها ..

على أنهم اعتادوا أن ينتقلوا بالقوارب إلى هذا الموضع على الشاطئ ، كلما اكتمل القمر ، ليأكلوا حصيلة الشهر من البشر ..

وعرف (طرزان) أن عليه أن يتجنبهم حتى يفرغوا من (صلاتهم) هذه .. فيعودوا بقواربهم إلى قريتهم ويمرَ الشهر فى سلام ..

لكن القردة الشقراء الحمقاء وقعت فى خطر جسيم .

من الأحمق الذى يقرر السير على الشاطئ ها هنا والقمر بدر تمام ؟

هل يمكنه إنقاذها ؟ لا يدرى .. لكنه بالتأكيد سيموت قبلها ..

★ ★ ★

ـ « أوها جالاه ! »

ـ « أوها جالاه ! »

ثم مزيد من قرع الطبول ..

و (عبير) تشق الطريق وسط هذه الوجوه الشنيعة التى ما زالت أفواهها ملوثة بالدماء .. وكل واحد يمسك بشعرها مندهشًا ....

إنها تشكل لهم ظاهرة طبيعية غير مسبوقة : امرأة بيضاء وشعرها أصفر .. يعنى بشرتها بلون أسنانهم .. وشعرها بلون بياض عيونهم .

ـ « أوها جالاه ! »

ـ « أو مبا ماما لا رومبا باتامبو ! »

يتناقلون عبارات الدهشة والانبهار .. لا بد أنهم يتساءلون عن مذاقها .. وهى ذى فى نفس مسرح المذبحة التى رأتها .. لشد ما يبدو الأمر مريعًا من قريب .. والرمال لم تتشرب بعد الدماء كلها .. والبطون لم تلتهم اللحم كله بعد ..

الساحر يدنو منها .. يتفحصها .. وكالعادة يجذب قبضةً من شعرها .. هذا هو أكثر ما يثير حيرتهم ..

ثم يعلن قراره الحاسم :

- « أونجا لا لا .. أونجا ! »

- « أوها جالاه ! »

وهم يقتادونها إلى قواربهم .. وقد أرغموها على أن تخوض المياه حتى ركبتيها ؛ عرفت (عبير) أن (أوجا لا لا) معناها (خذوها للقوارب) أو (سوف نعود بها) أو (أبقوا على حياتها الآن) .. أى شىء يقول هذا المعنى ..

ما كانت تحبَ هذا ..

كانت تفضل الموت الفورى بدلاً من الأهوال التى تنتظرها هناك .. وتذكرت أباها .. فعضت يدَ أحدهم صائحة :

- « عااان ! دعنى أيها الحيوان ! »

لكنه اكتفى بإصدار ضحكة بدائية مزمجرة .. ضحكةَ (أسامبارا) واثق من نفسه .

ووجدت نفسها تلقى كجوال البطاطس فى القارب ..

★ ★ ★

وعلى الشاطئ الملوث بالدماء ؛ وقف (طرزان) فى ضوء القمر .. بعد ما لم يعد مبرر للاختباء ..

وقف يرقب القوارب المبتعدة .. عشرة مشاعل عملاقة تنعكس فى ماء البحر ..

وأدرك أن الفتاة فى مأزق ..

مأزق حقيقى لن يخلصها منه أحد ....

★ ★ ★

٧ - أســامبــارا !

إنه لكابوس !

حتى و(عبير) تفكر فى (دى - جى - ٢) وحماسته غير المسبوقة فى خلق أجواء الرعب ؛ تشعر بأن كل هذا ليس وهمًا ..

إن مشهد القوارب التى تتحرك فوق صحفة الماء ، وانعكاس المشاعل الذى يذكرها برحلة الموتى الرهيبة إلى (هيدز) فى الأساطير الإغريقية ، والصمت الرهيب فيما عدا صوت المجاديف ، والرمح الملامس لعنقها ، والوجوه الكالحة المحيطة بها ....

كل هذا يجعلها تتمنى لو كان حلمًا ....

★ ★ ★

(أسامبارا) ! (أسامبارا) !

من الذى لا يهاب الـ (أسامبارا) فى الساحل الغربى كله ؟

انهم يرقصون كالشياطين حول النار .. ويقاتلون كالذئاب المسعورة .. ويركضون أسرع من الريح ..

ويقدر الواحد منهم على قتل رجلين دون عناء كبير .. ويكرهون بعضهم لكنهم يكرهون الأغراب أكثر ..

أوها جالاه .. أوها جالاه !

من ذا الذى لا يهاب الـ (أسامبارا) ؟

ها هى ذى القرية كلها تنتظرهم بالمشاعل .. فقد عاد المحاربون بعد ما التهموا الأعداء ، وهكذا لن تعود أرواحهم لتزعج القرية ..

أوها جالاه ! أوها جالاه !

حين يأكل المحارب ذراع محارب آخر يكتسب قوته .. وحين يأكل مخه يعرف ما يعرف .. وحين يأكل فخده يكتسب سرعته ..

فلتكن لأذرعكم قوة البراكين وسرعة البرق ومضاء الشهب ..

أنتم الأفضل والأقوى والأشجع .. أما الباقون فهم حملان موجودة لتوفر لكم الغذاء السمين ..

وتدنو القوارب من الشاطئ ..

وينزل الرجال يقتادون (عبير) البائسة بين صفوفهم .. فتحظى بمزيد من جذب الشعر والكدمات ..

كان الذهول على الوجوه جميعًا من بشرتها

البيضاء وشعرها الأشقر .. لسان حالهم يقول إنهم لم يتوقعوا أن تصل الأمور إلى هذا الحدّ .. إنها (مسخرة) حقيقية ..

وتتقدم (عبير) وسطهم تحاول ألا ترى أكثر من اللازم من وجوههم الملطخة بالأصباغ .. والعظام المغروسة فى أنوفهم وفى شحمات آذانهم ..

ووسط القرية كان هناك صنم كبير .. (طوطم) إذا أردنا الدقة .. وكان له وجه أكثر شراسة من وجوههم ..

وعند قاعدته غرست عظام كثيرة فى التربة على سبيل التحذير من الدنو أكثر ..

نساء كثيرات يخرجن ليرمقنها فى فضول .. نساء لا يميزهن عن الرجال سوى الشوارب .. فالرجال كانوا حليقى الوجوه طبعًا !

ثم أفسح القوم مكانًا بينهم ليظهر الزعيم ..

نعم هو الزعيم بالتأكيد .. لأنه بدين جدًا له كرش يتدلى فوق مئزره .. والرجال جميعًا كانوا رشيقى الأجساد ..

وله شعر أشيب متجعد كأنه وضع على رأسه

(كيلو جرام) من القطن غير الطبى .. قطن التنجيد المغبّر القذر .. ثم إنه عجوز ..

تقدم منها وتأملها فى اهتمام ..

وكالعادة ـ لقد صار هذا مملاً ـ جمش جمشة من شعرها الأشقر .. وتأملها فى اهتمام أشدّ ..

ـ « هوووم ! هوجا ! »

قالها معلنًا عن حكمة عميقة .. وفهم غير عادى للعالم ..

ـ « بونجا .. باجا .. آهونجا ! »

هنا ارتفع ثلاثمائة رمح فى الهواء بحركة واحدة ، مع صيحة واحدة ، جعلت (عبير) أقرب إلى الموتى ..

عمّ يتحدثون ؟ لا بد أنهم يقررون ما يجب عمله ..

هل سيقتلونها ثم يأكلونها ؟ أم يأكلونها ثم يقتلونها ؟

لا يوجد فارق كبير يستحق كل هذا الجدل ..

★ ★ ★

(طرزان) أيضًا فى أسوأ لحظاته الآن ..

إن الفتاة الآن فى قرية (الأسامبارا) .. وبالتأكيد يتم الاحتفال بها على أعلى مستوى ..

لم يكن غارقًا فى هواها إلى الحدّ الذى يدفعه إلى

دخول تلك القرية ـ حيث الجحيم ذاته ـ لكنه كان يكره أن يرى الأبرياء يموتون .. و(عبير) كانت بريئة .. هو يعرف هذا جيدًا ..

كان عليه أن يتحرك سريعًا الآن ..

عليه أن يأخذ العجوز فى الكوخ إلى مكان آمن ، فاحتمال عودة الـ (أسامبارا) لا بأس به ، ثم إن العجوز سيجنّ حين يصحو ليفتقد ابنته ، لهذا أسرع إلى الكوخ وفتح بابه ..

عيناه عينا قط يمكنهما الرؤية فى الظلام جيدًا ..

هو ذا العجوز نائم يغط فى نومه ، فاتحًا فاه ، وصدره يعلو ويهبط .. مثل كل الشيوخ ينتظر لحظة أن تكف مضخة الهواء هذه عن العمل ..

مدّ يدًا قوية ، وهزّه ..

فتح العجوز عينيه بصعوبة .. لكنه سرعان ما فتحهما على أكبر اتساع لهما .. وقد رأى هذا العملاق الأبيض يقف جوار فراشه .. هبّ من رقاده .. ووقف على الفراش صائحًا :

ـ « مـ .. مـ .. من أنت ؟ »

ثم ـ وقد تذكّر ـ أردف :

ـ « ابنتى ! أين ابنتى أيها المتوحش ؟ »

وثارت حميته ، فراح يوجه اللكمة تلو اللكمة إلى صدر العملاق الأبيض :

ـ « انتظر أيها الوغد .. سأصرعك ! طاخ ! هان ! هان ! »

كل لكمة تحطم عظام قبضتيه .. والعملاق لا يتزحزح ولا يبدو أنه يشعر بشىء على الإطلاق .. فقط حاول أن ينصحه بالتمهل .. حتى لا يؤذى نفسه .. لكن الكلمات لم تسعفه ..

لم يجد حلاً آخر سوى أن يحمل الرجل ـ كجوال القمح ـ على كتفه ، والعجوز يركله ويضربه ويصرخ ..

وسرعان ما خرج إلى العراء بحمله ..

ودون مزيد من الكلمات ، أمسك بأحد الغصون المتدلية لنبات متسلق .. وسرعان ما ارتفع لأعلى ليبدأ الكابوس ..

هاااااااه ! هو ذا يترك هذا الغصن ليطير فى الهواء بضعة أمتار .. وهوب ! يمسك فى اللحظة المناسبة بغصن آخر ..

ويتوالى السباق المجنون ..



هو ذا يترك هذا الغصن ليطير فى الهواء بضعة أمتار ..
وهوب ! يمسك فى اللحظة المناسبة بغصن آخر ..

والعجوز - كجوال القمح - معدوم الحيلة .. يرقب كل هذا فى ذعر صارخ .. ثم ذعر صامت .. ثم استسلام نهائى .. نوع من صمت الحملان ..

من هو هذا الرجل ؟ من أين أتى ؟ من أين له بكل هذه القدرات ؟ تُرى إنسان هو أم قرد ؟

والسؤال الأهم : ماذا يريد به ؟ هل اختطف (جين) قبله أم أنها فرّت حين رأته ؟ وأين هى الآن ؟

أسئلة عديدة لم تجد لها جوابًا حتى لاحت القرية ..

★ ★ ★

كل القرى الإفريقية تتشابه .. لكن هذه القرية لا تشبه قرية (الأسامبارا) فى شىء .. إنهم أصدقاء يتمتعون برقة حاشية وتحضّر لا بأس بهما .. كل معالم المكان تقول إنهم أناس طيبون يأكلون رزقهم يومًا فيومًا ..

وحين نزل (طرزان) من على غصن اللبلاب الأخير - دائمًا هناك واحد فى قصص (طرزان) - كان الوطنيون ينتظرونه بالترحاب ..

مئات الأسنان البيضاء فى الوجوه السوداء تضحك فى مودة ..

لم يفهم الأب المتهالك كلامهم .. لكنها اللغة السواحيلية بالتأكيد .. كما فهم أن هذا القرد الأبيض ليس قردًا .. إنه يجيد لغتهم إلى حدّ ما ..

سمع لفظةً تتكرَّر باستمرار هى (طرزان) .. (طرزان) .. فأدرك أن هذا هو اسم الرجل ..

كل هذا جميل .. لكن ما مصيره هو وسط كل هذا ؟

وكانت الإجابة آتية .. آتية فى شكل رجل أسود له ملامح دقيقة رقيقة .. يرتدى جلبابًا إفريقيًا ذا ألوان زاهية مزعجة من التى تسبب الغثيان .. دنا منه .. وبلهجة إنجليزية فظيعة قال :

ـ « مرحبًا .. كيف حالك ؟ إن « إثمى » (مامادو) .. »

برغم طريقة نطقه الإفريقية المميزة التى تستبدل بالسين ثاءً وبالزاى ذالاً ، بسبب خروج اللسان حيث لا ينبغى أن يخرج ؛ فإن البروفسور (دودزويرث) سرّه كثيرًا أن هناك من يتحدّث الإنجليزية فى هذا العالم القاسى ..

ـ « مرحبًا .. » ـ قالها بوقار إنجليزى عتيد ـ « .. إن إسمى هو (دودزويرث) .. البروفسور (دودزويرث) .. »

ثم مطّ فمه فى تساؤل :

ـ « كيف عرفت أننى إنجليزى ؟ »

ـ « آه .. إن « الإنجليذ » لا يمكن الخطأ فيهم .. لا يوجد مخلوق آخر له هذا الانطباع المتعالى « الثمج » ! »

ـ « شكرًا ! »

ثم بعد هنيهة تفكير عاد يسأل :

ـ « تقول إن إسمك ؟ »

ـ « (مامادو) .. إنه التحريف الإفريقى لاسم (محمد) .. مثله مثل (آمادو) بدلاً من (أحمد) و (سيكوتورى) بدلاً من (شيخ طريقة) .. إن للعرب تأثيرًا هائلاً فى إفريقيا .. لكنى تعملت الإنجليزية من « ذملائك المثتعمرين » .. »

سأتجاوز إذن عن طريقة كتابة نطق الأخ (مامادو) حتى أجعل الكلام مفهومًا .. فقط أرجو أن يتذكّر القارئ طريقة نطقه ليعيش فى جوّ القصة ..

سأله العجوز وهو يتأمل القرية :

ـ « ما هى هذه القرية ؟ »

ـ « إنها قرية الـ « وازيرى » .. أنت تعرف أن اللغة السواحيلية قريبة جدًا من العربية .. كل ما هنالك هو

أننا نضيف حرفى ياء فى آخر الكلمة .. لهذا يغدو (الوزير) (وازيرى) .. و (السواحل) « سواحيلى » .. »

هنا كان الغضب قد استبد بالدكتور (دودزويرث) :

- « هلا كففنا لحظة عن إجراء البحوث اللغوية ، وبدأنا فى معرفة ماذا يحدث هنا ؟ من هذا العملاق الأبيض ؟ ولماذا أنا عندكم ؟ وماذا دها ابنتى ؟ »

استدار (مامادو) إلى (طرزان) .. وراح يتكلم بضع دقائق بلسان لا يعرف الكلل أو التعثر .. بينما العملاق الأبيض ينقل عينيه الزرقاوين بين (مامادو) والدكتور .. ويصدر همهمات متتابعة ..

ثم إن (مامادو) راح يترجم ما قيل :

- « يقول (طرزان) إنك هنا من أجل سلامتك .. وإن ابنتك مخطوفة بوساطة (الأسامبارا) .. وقد أخذوها لقريتهم .. ويقول إنه لم يستطع عمل شىء لكنه سيحاول .. ويقول إنك فى مأمن هنا لأننا طيبون كالموز .. »

- « هو قال كل هذا ؟ بليغةٌ حقًا هى لغتكم .. ولكن من هو (طرزان) ؟ »

- « إنه الاسم الذى أطلقته القبائل على من تسمونه أنتم بـ (لورد جراى ستوك) ! »

قالها وهو ينظر إلى (طرزان) الذى جذب الاسم الأخير انتباهه ..

★ ★ ★

كان هناك عشاء من لحم الجاموس المشوى ..

وكانت هناك الكثير من الثرثرة ، والأنباء المتبادلة .. حيث جلس (مامادو) جوار العجوز يحكى له كل شىء عن القبيلة .. وعن (طرزان) ..

واتسعت عينا الدكتور (دودزورث) وهو يصغى إلى أغرب قصة سمعها فى حياته .. ولو كان فى ظروف أفضل لوصفها بأنها مسلية ..

لكنه كان قلقًا .. ولم يكف عن التساؤل عن مصير (جين) ..



٨ - ربيب القردة ..

كانت (جين) / (عبير) فى أسوأ ساعاتها ..

وبرغم سوء الأحوال كانت تشعر بدهشة عارمة من خصوبة خيال (دى - جى - ٢) .. فكلما حسبت أنها جربت أشنع وضع ممكن ، وجدت أن هناك أسوأ منه ..

كلا .. لم تكن فى قدر ماء يغلى .. ولم تكن مربوطة فى شواية لحم .. ولم تكن حبيسة فى جبّ مع ضبع جائع .. لا .. بل هو أسوأ من ذلك ..

كانوا يعدونها لتكون زوجة للزعيم !

لقد راق شعرها الأشقر لجلالته .. ويبدو أن بعض مشاعر الرقة تحركت فى روحه وسط كل اللحم البشرى الذى التهمه .. لقد أحسّ بحاجة لأن تكون هذه الأعجوبة زوجته ..

وشرعت (عبير) فى رعب - وقد فهمت - تمرّ بتجارب مروعة ، من رسم النقوش على وجهها ، وتعليق أقراط من عظام الحيوان فى أذنيها ، ودهان قدميها بالطين .. فى محاولة يائسة لجعلها تبدو حسناء بمقاييس (الأسامبارا) ..

★ ★ ★

- « أتعنى أن هذا ابن اللورد (ستوك) ؟ »

كذا تساءل دكتور (دودزورث) فى ذهول وهو يتأمل (طرزان) ، الجالس أمام النار يفكّر مقطب الجبين ..

قال (مامادو) وهو يعرّق اللحم من قطعة شواء :

- « نعم .. وبالتالى هو لورد (جراى ستوك) .. »

تأمله الدكتور العجوز من جديد غير مصدق ..

وهنا تجشأ (طرزان) بصوت عال .. فقال الدكتور وهو يهزّ رأسه فى حسرة :

- « لا يبدو أنه أحرز الكثير من التقدم فى مجال التحضّر ! »

قال (مامادو) فى تفلسف :

- « نحن السود نحبّ (طرزان) ونثق به .. هكذا أرادنا المؤلف (إدجار رايس بوروز) .. وقصته لا تخلو من النعرة العنصرية التى أذكاها كثيرون فى الغرب ..

ومنهم (كيلنج) .. وبها مهدوا لاحتلالهم الاستعمارى لنا ..

« إن (طرزان) هو الرجل الأبيض الذى ابتعد عن الحضارة .. فصار هو سيد الأدغال وحاكمها والقوة العظمى فيها .. »

« حتى فى هذا تفوق علينا نحن أبناء الغابة الأصليين .. لهذا تراه فى القصص شجاعًا ، بينما نحن جبناء .. حكيمًا بينما نحن قرود غبية .. عادلاً بينما نحن ظالمون متوحشون .. جميلاً بينما نحن أقبح من الخنافس ..

« إن (طرزان) يحكم الغابة رمزًا لسيطرة الرجل الأبيض على (إفريقيا) كلها بحكمته وذكائه .. وليس على الزنوج العقلاء سوى الخضوع له .. »

« لهذا تجد الزنوج - فى القصص - يستغيثون به ويقبلون حكمه .. حتى حيوانات (إفريقيا) تخضع له وتطيعه .. »

« إن (إدجار رايس بوروز) يرسخ فى قصصه مبدأ اللون الأبيض المتفوق .. فالخير والعدل لا يمكن إلا أن يكونا أبيضين .. أما الشر والحمق فلونهما أسود بالتأكيد .. »

وتنهد فى استسلام .. وأردف :

- « لكننا مرغمون على القبول بهذا لأننا فى عالم (إدجار رايس بوروز) .. وعلينا اللعب بشروطه .. أنا فقط أسجل اعتراضى لا أكثر .. »

قال (دودزويرث) وهو مشوق إلى انتهاء هذه المحادثة :

- « لا أرى (طرزان) رديئًا إلى هذا الحد .. إنه خيّر كما فهمت .. »

- « خيّر بشروط الرجل الأبيض .. وإلا - بالله عليك - لماذا لم يؤلفوا قصة عن (طرزان) زنجى من قبيلة (الزولو) ؟ »

تنهد (دودزويرث) ونظر نحو (طرزان) .. وقال بعد هنيهة :

- « هل تعرف لماذا ؟ لأن البيض يملكون الأدب والفن لهذا من حقهم أن يجعلوا بطلهم إنجليزيًا أبيض .. ومن حقكم - يوم تكتبون أدبكم الخاص - أن تجعلوا أبطالكم سودًا بلون الليل .. »

بمرارة ابتسم (مامادو) وقال :

- « ومتى يكون ذلك ؟ متى يتركنا الأبيض وشأننا ؟

حتى مسلسلات (طرزان) المصورة ستكرس ذات الفكرة يومًا ما .. وأفلام (طرزان) التى سيلعب بطولتها حشد من النجوم .. بدءًا بـ (جونى ويسمولر) بطل السباحة الشهير .. ومرورًا بـ (لكس باركر) .. وانتهاءً بـ (كاسبر فان دين) .. كلها جاءت لتقول لنا كم أن الزنجى سيئ .. وكم أن الأبيض رائع .. »

- « لا عليك يا (مامادو) .. دعنا الآن نتحدث عن ابنتى .. »

نظر (مامادو) إلى (طرزان) وتنهد .. وقال كأنما يسمع حوارًا محفوظًا :

- « (طرزان) سيد الأدغال سيفعل ! »

★ ★ ★

كان (طرزان) واضحًا فى قراره .. أصدر عددًا من الأصوات المخيفة .. وتكلم بعدة مقاطع من السواحيلية .. فأدرك (مامادو) أنه سيهاجم قرية (الأسامبارا) وحده وليكن ما يكون .. واضح أن اهتمامه بـ (جين) يتجاوز واجبه الأمنى كرجل الشرطة الوحيد فى (إفريقيا) ..

ودون كلمة أخرى وثب إلى الشجرة التى فوق رأسه ..

وعلى الفور اختفى عن العيون ، ما عدا صرخته المدوية الشهيرة :

- « هاهاه هاهاه هاااااااه !

تساءل الأب وهو ينظر إلى قمم الأشجار الخاوية المتلألئة فى ضوء القمر :

- « هل تظن أنه سيفعلها ؟ »

قال (مامادو) وهو ينظر إلى الشىء ذاته :

- « لو كنت تعرف (طرزان) فلن تسأل هذا السؤال ! »

★ ★ ★

هذا هو المكان الذى اعتاد أن يرتاده ليلاً ..

الجدول الهادىء والسكون وانعكاس القمر على الصفحة الفضية ..

هناك أسدان يشربان .. إنهما غريبان عن المنطقة .. لكن (طرزان) يعرف جيدًا نظرة الشبع فى عينى أسد ، ويعرف أنه يمكنك وقتها النوم جواره ، وتوسد فخذه إذا أردت ..

رفع عقيرته للسماء ، وأطلق صرخته المعتادة :

ها ا ا ا ا ها ه ه ه ها ا ا ا ا ه



كان (طرزان) يعرف أن التمساح هو الأقوى ، وهو الذى يلعب على أرضه وبشروطه ..

ليست نفس الصرخة إذا لاحظتم .. فالمقطع الثانى يقول (ها ه ه ه) لا (هـ ها ه) وهو فارق عظيم لا تفهمه سوى ...... الأسود ..

غريب هذا ! أين (جاد - بال - جا) العجوز ؟ كان من المحتم أن يلبى النداء لأنه يرتوى فى هذا الوقت بالذات ..

عاود الصراخ بنبرة أعلى .. لكن لا مجيب ..

ثمة متاعب هاهنا .. راح يخفّ السير حول الجدول باحثًا عن أثر لصديقه .. لكن لا أثر هناك .. ثم .. سمع صوت الأنين ..

وعند النهر رأى مشهد الصراع الدامى ..

(جاد - بال - جا) يطبق بفمه الضخم على جسد - أو جثة - ظبى ، تعاونه زوجته الحبيبة ؛ بينما الطرف الآخر من الجثة بين فكى تمساح ..

تمساح إفريقى عملاق أخرج رأسه من الجدول ، وراح جاهدًا يحاول انتزاع الفريسة من الأسدين ..

كان (طرزان) يعرف أن التمساح هو الأقوى ، وهو الذى يلعب على أرضه وبشروطه ، ولو جاء زملاؤه للعون فلسوف يجد الأسدان نفسيهما فى مأزق ..

لم يتردّد ..

مدّ يده إلى نطاقه وانتزع خنجره العملاق .. ثم وثب إلى الجدول البارد .. وهناك ـ محاذرًا من ضربة الذيل ـ تمكن من شق طريقه إلى البطن اللين للزاحف البشع ، وأولج الخنجر حتى قبضته ..

استحالت البحيرة جحيمًا داميًا .. وتناثر الماء الأحمر فى كل صوب .. إن ضربة من ذيل التمساح يمكن أن تشطر رجلاً إلى نصفين ..

لهذا غاص مبتعدًا .. ووثب إلى الضفة ..

فى اللحظة ذاتها تحركت عشرات من جذوع الأشجار ـ ظهور تماسيح فى الواقع ـ نحو التمساح الجريح .. وفارت المياه كبركان ..

ابتعد (جاد ـ بال ـ جا) مع زوجته وهو يزأر فى امتنان ، دون أن يتخلى عن فريسته .. فدنا منه (طرزان) ولفّ ذراعه حول عنقه ، وضم لبدته الضخمة الفاخرة إلى صدره .. فراح الأسد يصدر صوتًا حلقيًا كهرير القط ..

إنه اليوم بحاجة حقيقية لعون هذا الحليف القوى ..

★ ★ ★

كان (جاد ـ بال ـ جا) أسدًا يافعًا أقرب إلى الشبل ، حين أنقذه (طرزان) من حفرة صيد الأسود التى أعدها بعض الصيادين البيض له ..

لقد صنع رافعة بدائية تتمتع بذراع قوة هائل إذا قورن بذراع المقاومة .. ونزل إلى الحفرة ليربط الحبال حول الأسد الثائر ؛ وهكذا تمكن من رفعه إلى أعلى ..

لقد كان البيض سيتسلّون بقتل الأسد ببنادقهم ، ثم يعلقون رأسه على حائط ما فى أحد أندية (لندن) .. هذا مؤكد ..

ومن يومها ـ كما حدث لـ (أندروكليس) يومًا ما ـ لم يكفّ الأسد عن ردّ الجميل لـ (طرزان) كلما احتاج إليه ..

لهذا ـ حين وثب (طرزان) إلى الأشجار ؛ كان (جاد ـ بال ـ جا) على أتم استعداد لترك عشائه والركض وراءه بطريقة (التقريب) التى خلدها (إمرؤ القيس) فى معلقته الشهيرة ..

وكذا راحت الأميال تقصر نحو قرية (الأسامبارا) ..

★ ★ ★

وبعد أميال عدّة توقف (طرزان) ..
رفع عقيرته .. وصاح صيحة أخرى مدوية :
هوووه .. هاااااه .. هاااااه !
كـلا .. ليست السـابقة طبعًـا لـو كنتم تجيـدون الملاحظـة .. إنّ أىّ خبير أصواتٍ يستطيع أن يحـدّد ثلاث صرخات لـ (طرزان) ..
١ ـ هاهاه هاهاه هاااااااه ! : وهى خاصـة ببدء العمليات ..
٢ ـ هاهاه هاااااه هاااااه ! : خاصـة باسـتدعاء الأسود ..
٣ ـ هوووه هاااااه هاااااه ! : خاصة بـ .. بالأفيال طبعًا !
إن (تونتو) صديق قديم لـ (طرزان) ..
(تونتـو) الفيـل العمـلاق الـذى ترتـجّ الغابـة كلهـا لخطواتـه .. هـو وعشـيرته .. وكـان (طـرزان) ـ كالعادة ـ قد أنقذه ، يوم انتزع سهمًا مسمومًا من أذنه الضخمة .. إن آذان الأفيال الإفريقية ضخمة حقًّا وتختلـف عـن آذان الأفيـال الهنديـة .. لهـذا تكـون إصابتها مؤلمة ..

انتزع (طرزان) السهم وداوى الجرح بالأعشاب ـ وهو يعرف كل أسرارها أفضل من أى عطّار عتيد ـ وهكذا صار الفيل رهن إشارته ..
هوووه .. هاااااه .. هاااااه !
كان هذا كافيًا ..
فقد راحت الغابة ترتجّ .. وتعالت أصوات الأغصان تتهشم تحت الأقدام .. وحلقت الطيـور مذعـورة .. والقردة خائفة ..
إن عشيرة أفيال كاملة تدنو من (طرزان) ..
وعلى الفور تعلق (طرزان) بغصـن شـجرة .. وتأرجح به ليهوى فوق عنق الفيل القائد (تونتو) ..
أحس الفيل بـ (طرزان) فرفع خرطومه محييًا ..
داعبه الرجل .. ثم أشار إلى الاتجاه الذى يريده ..
لم يكن يحبّ اللجوء إلى (تونتـو) لأن ضرر هذه الأفيال أكثر من نفعها ، ولأنها ستحدث مجزرة غير ضرورية ..
لكن مـا باليد حيلـة .. وعساه ينقذ الفتاة قبل أن تفنىَ القرية كلها ..

وهكذا راح الموكب الغريب يتقدَم نحو قرية (الأسامبارا) فى ضوء الفجر ..

★ ★ ★

و (عبير) فى كوخها الطينى .. تقاوم عبراتها ..

تدخل النساء حاملات جرارًا طينية بها سائل مثير للاشمئزاز .. تفهم أن عليها شربه .. ما هذا ؟ هل هو خمر أم أمخاخ قرود تمَ ضربها فى الخلاَط ؟

لم تفهم لكنها شربته مرغمة على كل حال .. صبوه صبًا فى حلقها ..

ثم قادوها خارج الكوخ إلى ساحة القرية ..

كان الفجر يغمر المكان بلونه الدموى .. والطيور تغرَد وهى تحلق ذقونها قبل التوجه للعمل ..

وكان (عريسها) يقف ملطخًا بالطين - فى أبهى صوره - وهو يلوك شيئًا ما فى فمه .. عندها راح الجميع يرقصون كالملبوسين ..

وعرفت أن هؤلاء القوم يحتفلون بالزفاف وقت الفجر ..

لم تتحمل أكثر .. وقررت أن الوقت قد حان كى .... تركل حارسها فى بطنه .. وتستدير للهرب و .....

★ ★ ★

٩ - مذبحة ضرورية ..

لا بد أنها لم تجر سبع خطوات ..

كان هذا حين لحقوا بها .. وسقطت على الأرض الموحلة .. وشعرت بحدَ السكين على عنقها .. ويبدو أنها قارفت خطأ دينيًا جسيمًا لأنها رأت الغضب فى كل العيون .. وخاصة فى عينى (عريسها) الذى أشار نحوها وراح يردَد دون كلل :

- « أونجا هاه ! »

- « أوها جالاه ! »

لم تفهم .. لكن من الواضح أن هرب العروس يوم زفافها هو جريمة لدى كل المجتمعات .. خاصة أن هذا دليل على أنها تحبَ شخصًا آخر ..

لكن الجريمة كانت - فيما يبدو - أخطر مما تصورت .. لأنها رأتهم جميعًا يجردون خناجرهم ورماحهم ..

ووجدت أنها تُقاد من شعرها الذهبى إلى قدمى الصنم - لو كان للأصنام أقدام - وجذبوا شعرها بقوة للوراء .. ليظهر جيدها واضحًا للنصال ..

إنهم جادون ! مستحيل أن يكون هذا ! ولكن .....

★ ★ ★

وهنا - على طريقة (جريفت) فى الإنقاذ فى آخر لحظة - سمعتهم يتصايحون ويتكلمون .. ثم وجدت أنها ملقاة على الأرض وحدها مهملة تمامًا ..

ورأت الحشد يهرع إلى ناحية الأشجار ..

ماذا حدث ؟ هل من طقوسهم الدينية أن يهددوا العروس الهاربة من الزفاف ، ثم يتركوها ويواجهوا الأشجار ؟ ديانة غريبة حقًا !

وهنا وجدت الأشجار تنزاح جانبًا ..

بل تتهشم ..

ورأت أول ما رأت جسدًا أسود عملاقًا .. فيلاً على وجه الدقة .. على ظهره ما بدا لها كرجل أبيض مكتنز بالعضلات ..

فى اللحظة التالية سمعت صراخًا مريعًا ..

نظرت لليسار لترى رجلاً من (الأسامبارا) يتلوى على الأرض .. بينما أسد عملاق يجثم فوق صدره لينهش عنقه ..

ورجل آخر يحاول تسديد رمح إلى الأسد .. لكن

هذا الأخير يثب وثبة لا بأس بها أبدًا .. ويبقر بطنه بمخالبه ..

كان (جاد - بال - جا) يقوم بعدة أعمال مجيدة فى آن واحد .. وأدركت (عبير) - التى لا تعرفه - أن دورها آت لا محالة ..

سمعت الصراخ من ورائها .. فالتفتت لترى ..

هذه المرة كان الصراخ يختلف .. فالرجل الذى يفترسه أسد لا يصرخ بذات الأسلوب الذى يصرخ به رجل تهرسه قدم فيل ..

عشيرة الأفيال تتقدم .. ببطء وثقة .. بينما الفيل فى المقدمة يمدّ خرطومه ويلتقط رجلاً من على الأرض .. ويطوحه فى الهواء إلى آخر مدى ممكن .. ويرتطم الرجل بحاجز الأشجار فيسقط أرضًا ..

العملاق الأبيض الذى كان يركب الفيل يثب إلى الأرض دون معونة ، ويعمل بخنجره وساقيه عملاً لا بأس به فى صفوف (الأسامبارا) .. الذين تفرقت جموعهم .. وتصاعدت صرخاتهم ..

وبدوا وهم جاثون على ركبهم يحاولون حجب الهول القادم عن عيونهم ؛ كأنهم فى إحدى لوحات (ديلاكروا) الشهيرة عن المذابح ..

الحق أن بعضهم قذف رمحًا أو اثنين .. لكن ما جدوى هذه الإبر فى حائط اللحم الذى سدّ عليهم المنافذ كلها ؟

ومن حاول التراجع منهم كان يصطدم بـ (جاد - بال - جا) الذى كان يقوم بعمل عشرة أسود .. وحوله تكومت ثلاثون جثة بعضها قضى نحبه وبعضها ينتظر ..

وأحست (عبير) بخرطوم فيل يلتف حول خصرها .. فتلَتَ الشهادتين وهى ترتفع إلى عنان السماء ، وانتظرت لحظة الطيران كصخرة المقلاع لتصطدم بشجرة ما هنا أو هناك ..

لكن .. غريب هذا ! إنها تُحمل فى رفق إلى ظهر فيل آخر .. وتجد أنها فى وضع الجالسة تشاهد هذه المذبحة من علٍ ..

ضمت فخذيها حول عنق الفيل كى لا تسقط .. إنها لم تركب فيلاً قط .. لكن الأمر ليس عسيرًا مع ثقل حركته وضخامة ظهره ..

وهنا وجدت أن الحيوان العملاق يستدير مبتعدًا ..

نظرت إلى الوراء فوجدت أن المذبحة قد انتهت تقريبًا ..

لقد فرّ (الأسامبارا) الباقون تاركين جرحاهم وقتلاهم .. واستطاعت أن ترى فيلاً يرفع قدمه الغليظة من فوق صدر ملكهم بعد ما هشمه ..

وبدأ الفيل يشق طريقه عائدًا .. ومن حوله قطيع الأفيال .. لقد كانت مهمة محدَدة تمامًا .. إنقاذها .. ولم تكن الإبادة هى هدف هذا الهجوم ..

لقد قتلوا فقط العدد الضرورى لإنجاز مهمتهم .. وهم الآن عائدون بها ولكن إلى أين ؟

شعور غير عادى هو أن تركب فيلاً .. وحدك وسط الأدغال .. بينما عشيرة كاملة من الأفيال تمشى حولك ..

وهنا تذكَرت العملاق الأبيض .. من هو ؟ من الواضح أنه مدبِّر هذا الهجوم الناجح .. فمن هو الإنسان القادر على حكم هذه الوحوش ؟ وكيف ولماذا أنقذها ؟

لم تحتج إلى مزيد من التساؤلات لأن العملاق المذكور هوى من السماء .. متعلقًا بغصن نبات متسلق تدحرج من أعلى ليسقط فوق ظهر الفيل الذى يمشى جوارها .. لقد فرغ بدوره من آخر تفاصيل المعركة ، وعاد ليلحق بها ..



لم تحتج إلى مزيد من التساؤلات لأن العملاق المذكور هوى من السماء .. متعلقًا بغصن نبات متسلق تدحرج من أعلى ليسقط فوق ظهر الفيل ! ..

وللمرة الأولى تراه عن كثب ..

كان أبيض البشرة .. أوروبيًا بالتأكيد .. له عينان زرقاوان .. وشعر أسود طويل يغطى مؤخرة عنقه وأعلى ظهره .. فى وجهه صرامة نبيلة .. ونظرة حادة باعتباره شخصًا لا يفهم المزاح أبدًا ..

كان عارى الجذع باستثناء مئزر من جلد النمر حول خصره .. يتدلى من جانبه خنجر هائل الحجم .. وكانت عضلاته مكتملة ذكرتها بالرجال الذين كانت تراهم فى مسابقات كمال الأجسام ، ويبدون أقرب إلى مجموعةً من الكرات الحديدية الملتحمة ببعضها منهم إلى البشر العاديين .. وكان هذا يضحكها كثيرًا ..

لم تكن تميل إلى الرجال ذوى العضلات ، وتعتبرهم يحاولون جاهدين أن ينتزعوا من حياتهم آلاف الأعوام التى قطعها التحضر منذ رجل الكهف حتى يومنا هذا .. لكنها لم تمنع نفسها من الاعتراف بأن عضلات هذا الأخ متناسقة ، أقرب إلى الجمال كما رسمه الفنانون فى كل العصور ..

من هو ؟ من أين جاء ؟ ماذا يريد ؟

قرّرت أن تقول شيئًا .. فتنحنحت .. وقالت :

- « أ ... أشكرك على إنقاذى .. »

لم يجب .. وظل ينظر أمامه مقطب الجبين ..

- « .. هـ .. من أنت ؟ »

نظر لها فى شرود .. ثم عاد ينظر أمامه ..

- « هل تفهم الإنجليزية ؟ »

نظر لها من جديد .. ثم أشار إلى الفيل الذى تركبه .. وقال :

- « (تونتو) ! »

ثم انفجر فى الضحك .. هاهاهاه !

رمقته بغباء فى البداية ، ثم أصابها الإشعاع (السايكوفيزيائى) فوجدت نفسها تضحك بدورها دون أن تدرى لذلك سببًا .. إنه بدائى .. هذا واضح .. والبدائيون يضحكون ضحكًا جماعيًا سطحيًا أسبابه تافهة تمامًا .. لكنها على كل حال ليست متضايقة .. يبدو هذا البدائى موحيًا بالثقة ، والتواجد معه أفضل - حتمًا - من لعب دور العروس مع (الأسامبارا) ..

سمعت صوت زئير الأسد من جديد ، فارتجفت فرقًا ..

رأته يجرى جنبًا جوارهما .. وهنا رأت العملاق الأبيض يثب - بسهولة تامة - من فوق ظهر الفيل

إلى الأرض .. ورأته يقف أمام الأسد .. ينحنى ليضم رأسه إلى صدره .. ويداعب لبدته الكثة ..

وهنا فهمت أن هناك دماء .. دماء قانية تنساب من جرح فى كتف الأسد .. واضح أن أحد رجال (الأسامبارا) كان يجيد التصويب ..

سمعت البدائى الأبيض يكلم الأسد بصوت عميق :

- « (جاد - بال - جا) .. (طرزان) بوندولو .. يابيك ! »

ما هذه اللغة ؟ إنها ليست لغة .. بل هى أقرب إلى صيحات حلقية .. صيحات كالتى تسمعها من القردة فوق الأشجار ..

قردة ؟ لم تكفَّ الفكرة عن التجوال فى ردهات عقلها ..

هذا الرجل يصيح كالقردة ..

ومن مكانها فوق ظهر الفيل رأت الرجل يخرج من مئزره بعض أوراق الشجر ، ومنها يخرج بعض المساحيق يعالج بها جرح الأسد .. بينما ملك الغابة يقف مستسلمًا مصدرًا أنينًا مكتومًا من حبال حنجرته القوية ..

من هذا الرجل ؟

رجل يجمع صفات مدرب الأسود ومدرب الأفيال وبطل كمال الأجسام والطبيب البيطرى .. كل هذا فى آن واحد !

وهنا تذكَرت .. لقد ذكر اسمه وهو يتحدَث إلى الأسد .. لكنها لم تفهم ..

هذا هو (طرزان) ! بالتأكيد هو ! كانت تعرف أن مغامرتها ستدور فى الأدغال .. لكنها لم تربط بين هذا وبين ربيب القرود الشهير ..

بعينين مبهورتين راحت ترمقه وهو يصرف الأسد ، بعد ما غطى الجرح بأوراق الشجر .. ثم يصعد على خرطوم الفيل الذى كان يمتطيه .. ويعتلى عنقه .. ويصدر صيحةً حلقيةً أخرى تأمر الموكب بالتحرّك ..

هتفت فى دهشة :

ـ « أنت ..... (طرزان) ؟ »

أثار دهشته أنها تعرف الاسم .. فأشار بدوره إلى صدره وهتف :

ـ « (طرزان) .. »

أشارت إلى صدرها .. وقالت :

ـ « (جين) .. »

هزّ رأسه بمعنى أنه يعرف .. ورفع ذراعه القوية الشبيهةَ بالهراوة .. ليشير إلى الأفق .. وهتف وهو يرمقها فى ثقة :

ـ « (دوثورث) .. (دوثورث) ! »

اتسعت عيناها أكثر .. (دوثورث) ! لا بد أنه يقصد (دود زويرث) .. أباها .. لكن هذا أجمل من أن يكون حقيقيًا .. أبى ؟

ـ « أنت تأخذنى إلى أبى ؟ »

ـ « (وازيري) .. (مامادو) .. »

لم تفهم هذا الجزء .. لكنها لم تحاول الاستفسار أكثر .. وراحت تقاوم لهفتها التى توشك أن توقف قلبها .. سيكون قاسيًا جدًا أن تعرف أن (دوثورث) هذا هو ـ فعلاً ـ شخص يدعى (دوثورث) .. أو أنها لفظة أخرى من لغة القرود التى يجيدها هذا المأفون ..

لكن قرية (الوازيرى) لاحت من بعيد ..

وشعرت (عبير) بُخرطوم رفيق يحيط بخصرها ، لينزلها إلى الأرض ..

★ ★ ★

قبلات كثيرة طبعتها على خدّى أبيها ويديه وعينيه ، ثم أراحت رأسها على صدره العجوز المنهك ، شاعرة أن الحياة لن تكون أجمل مما هى عليه أبدًا ..

لثم الأب كفيها بدوره .. ومسح عبرة على عينيه .. وغمغم :

ـ « هل اختطفك (الأسامبارا) ؟ »

ـ « بل وجدونى فى طريقهم .. حاولت أن ألعب دور المستكشفة فى أثناء نومك .. ويبدو أننى كنت حمقاء على ما أظن .. »

ـ « أنتِ معتوهة .. تذكريننى بالمرحومة أمك فى عنادها .. »

وفى فخر أشارت إلى (طرزان) ؛ الذى وقف عاقدًا ذراعيه على صدره .. وعلى وجهه تعبير خاو من المعنى كالتماثيل الرومانية :

ـ « لقد أنقذنى (طرزان) ! ومن أجلى قاد كتيبة أفيال وأسدًا ! »

نظر له الأب فى امتنان .. وغمغم :

ـ « أنتما متعارفان ؟ إن لورد (جراى ستوك) شخص نادر الوجود .. كل من يستطيع العثور على

فتاة ضائعة فى أدغال (إفريقيا) ، ويعود بها خلال أربع وعشرين ساعة لهو إنسان نادر الوجود .. »

ثم نظر إلى (مامادو) الذى وقف يرقب المشهد ، وهو يضحك كاشفًا عن أسنان بيضاء كعاج الفيلة .. وقال :

ـ « هلا شكرت لنا اللورد (جراى ستوك) على كل ما فعل ؟ »

ـ « إن (طرزان) لا يحبّ عبارات الشكر .. فهو عملى جدًا .. »

ثم فرك يديه فى حرج .. وقال :

ـ « وهو يسألك عن الوقت المناسب ليأخذ الآنسة معه ! »

* * *

١٠ - زوجى (طـــرزان) !

بدت الدهشة غير الفاهمة على وجـه الأب .. ونقل عينيه بين (طرزان) وبين (مامادو) عدة مرات قبل أن يسأل :

- « يأخذها معه ؟ لماذا ؟ »

فرك (مامادو) أنفه فى مزيد من الحرج .. وقال :

- « لماذا ؟ لتكون زوجته طبعًا ! »

عاد الأب يمرِّر نظراته علـى الجميـع .. قبـل أن تتوقف على (طرزان) .. وهتف فى ازدراء :

- « هذا البدائى ؟ هذا القرد المروَّض يتزوج ابنـة الدكتور (دودزويرث) أعظم علماء القرن ؟ »

قال (مامادو) فى كياسة :

- « يقول إنكم قبلتم الزواج به .. لقد أكلتم الخنازير البرية التى كان يضعها على عتبة الكوخ كل ليلة .. وهذا فى عرف قبيلتنا قبول صريح لا شك فيه بالزواج .. »

- « أكلناها ؟ » - قالها الأب وهو يضرب كفًا بكف -

« .. لم يحدث .. كنا ندفنها كل صباح .. ولم يجل بخاطرنا أن سعادته هو من يجلب كل هذه الحلاليف إلى بابنا .. ولو علمنا لما تغيَّر الأمر .. نحن لم نقبل الهدية .. »

- « يقول إنه يميل إليها .. »

- « وهل هذا مبرِّر كاف لى كى أقبل ؟ أنا أهوى ممثلة مسرح حسناء .. لكن هذا لا يجعلها مرغمة على الموافقة علىَّ عريسًا .. حتى ولو كنت أضع خنزيرًا بريًّا أمام غرفة الماكياج كل ليلة .. »

هنا تدخلت (عبير) لتقول ، وهى تعلم أن أباها سينفجر غضبًا لكلامها :

- « إنه لورد يا أبت .. وهل توجد فرصة لى كى أتزوج من لورد فى حياتى ؟ إن الفرصة معدومة فى (بريطانيا) .. فما بالك بها هنا فى هذا الركن المعزول من العالم ؟ »

تأمل أبوها (طرزان) من جديد .. وصاح فى جنون :

- « لورد عارٍ ؟! لورد لا يرتدى سوى جلد نمر حول خصره ؟ »

قالت فى مزيد من الخبث :

- « إن دراساتك عن التطور تجعلك أكثر تفتحًا .. فأنت تعلم أن الفارق بين البدائى والمتحضر ضئيل جدًا .. ألست ترانا جميعًا أحفاد قردة ؟! »

صاح وأوردته توشك على الانفجار :

- « هناك قردة .. وهناك قردة .. أراهن على أن هذا المخبول لا يجيد لعب (البريدج) .. ولا يقرأ (التيمز) .. »

قالت فى كياسة وهى ترمق (طرزان) الذى لا يتحرك :

- « ثم إننا لو رفضنا .. لصرنا فى خطر داهم .. فهذا الرجل قادر على الحصول على ما يريد .. »

- « إلا هذا .. إلا هذا ! »

قالها (مامادو) ملوحًا بكفيه بمعنى النفى المطلق .. وأردف :

- « .. إلا هذا .. إن (طرزان) مهذب جدًا ولا يفرض نفسه على أحد .. كل ما فى الأمر أنه يشعر بالوحدة ويحتاج إلى رفيقة من جنسه .. لها نفس لون بشرته .. وقد راقت له الآنسة .. لكن كلمة (لا) محترمة ها هنا مثل أى مكان آخر .. وأعتقد أن إجابتنا قد وصلت إليه دون ترجمة .. »

قال (طرزان) شيئًا ما .. ثم أصدر صوتًا كصوت السحلية التى يلتهمها قط .. وأدار ظهره القوى مبتعدًا .. فانبرى (مامادو) يفسّر :

- « يقول إنه حزين .. »

- « معه كل الحق .. »

- « ويقول إنه سيعتكف فى الدغل أيامًا ليبكى .. »

- « هذا لحسن حظنا ! »

قالها الأب وهو يستدير مبتعدًا ..

أما (عبير) فراحت ترمق (طرزان) وهو يتعلق بأحد الأغصان المتدلية ، ثم يذوب وسط الأشجار .. وشعرت بفؤادها يتمزّق ..

إنها لم تقبل عرضه .. مستحيل أن تقبله .. فقط كانت تداعب أباها دعابة قاسية .. لكن مشهد هذا العملاق طيب القلب إذ يبتعد كسير الفؤاد ؛ جعلها تشعر بغصّة فى حلقها ..

هذا العملاق يملك من القوة ما يتيح له أن يختطفها - ولن يجرؤ أحد على منعه - لكنه فى أعماقه (جنتلمان) حقيقى .. يفضل أن يعيش ويموت وحيدًا على أن يرغم فتاة على شىء لا تريده ..

كانت هذه أول بذرة غرسها (طرزان) فى قلبها ..

★ ★ ★

علم (بريطانيا) يرفرف فى الهواء الساخن ..

ألوانه الاستعمارية تعيد لها ذكرياتها المريرة مع بناة الإمبراطورية فى (الهند) .. حين واجهت عشيرة الخناقين بحبالهم المطلية بالزيت ..

حيّاها (مامادو) ملوّحًا بذراعه ثم ولى الأدبار ..

واقتادهما ـ هى وأباها ـ ذلك الجندى الزنجى الواقف على الباب إلى خيمة الجنرال (بلاكمور) قائد الحامية ..

كان الجنرال جنرالاً حقًّا .. له شارب أشقر كث .. وسحنة عسكرية صارمة ، وبدا متشككًا فى القصة كلها .. لكن دكتور (دودزويرث) العجوز راح يحدثه حديثًا مستفيضًا عن (لندن) وآخر فضائحها ، وآخر مشاكلها السياسية ، وعن اللعبة القذرة التى يحاول حزب المحافظين لعبها فى البرلمان ..

وسرعان ما صار الرجلان صديقين ..

وعدهما جنرال (بلاكمور) بتدبير السبيل لعودتهما إلى الوطن .. ومحاكمة هؤلاء البحارة الذين أصدروا على الأب تهمة الهرطقة ..

ثم إن الأب سأله وهو ينتقى كلماته :

ـ « هل تعرف شيئًا عن لورد (جراى ستوك) ؟ »

أشعل الجنرال سيجارًا ولوح بعود الثقاب ليطفئه ..

ثم غمغم :

ـ « (جراى ستوك) ؟ هل تعنيان (طرزان) ؟ »

ـ « نعم .. »

مطّ الجنرال شفتيه فى اشمئزاز .. وقال :

ـ « إنها أكذوبة .. أنتم تعرفون خرافات الوطنيين وأقاويلهم التى لا تنتهى .. إن لى عشرة أعوام ها هنا يا دكتور (دودزويرث) .. ودعنى أؤكد لك .. »

وهزّ إصبعه السبابة ليؤكد كلماته :

ـ « .. دعنى أؤكد لك أنه لا يوجد من يُدعى (طرزان) .. ثم إنه مواطن بريطانى ولو كان له وجود لكنا أول من نعلم .. »

تبادل الأب النظرات مع (عبير) .. مواطن بريطانى ؟ إن هذا لم يخطر لهما ببال من قبل برغم أنه صحيح ..

قال الجنرال وهو ينهض معلنًا انتهاء المحادثة :

ـ « سأدبر سبيل نقلكما بالبحر إلى (بريطانيا)

العظمى .. لكنى أرى أنك تستحق مجاملة أخرى يا دكتور .. إن بعض رعايا صاحبة الجلالة ينوون تنظيم رحلة صيد (سافارى) بعد يومين .. وأنت مدعو إليها مع ابنتك الحسناء .. اتفقنا ؟ »

ـ « اتفقنا .. »

وتصافح الرجلان .. ثم غادر الأب المعسكر مع (عبير) راضيًا ..

★ ★ ★

ـ « لا تفعل يا سيدى أرجوك ! »

قالها (مامادو) وهو يرقب دكتور (دودزويرث) وهو يفرغ جعبته ، مخرجًا كل الأشياء التى قدمها له الجنرال ، باعتباره من رعايا صاحبة الجلالة ..

كانت هناك ثياب نظيفة .. وكان هناك حذاء .. وبندقية صيد .. وموسى حلاقة .. وبعض الزجاجات الملآى بسائل أحمر ..

تساءل الأب العجوز ، وهو يتأمل كل هذه الكنوز :

ـ « ما الذى لا ينبغى أن أفعله ؟ »

ـ « الاشتراك فى الصيد .. »

عاد يسأله بوقار إنجليزى عتيد :

ـ « هل تتكرَم بذكر الأسباب التى تمنعنى من ذلك ؟ »

كان (مامادو) مذعورًا .. يروح ويجىء فى الكوخ الطينى .. عيناه تلمعان فى محجريهما ، كأنما يرى عملاً إلحاديًا رهيبًا ..

وأخيرًا قال :

ـ « لا تقتل الحيوانات .. ستكون طريقة غريبة لردّ جميل (طرزان) .. »

قال الأب فى عدم فهم :

ـ « أنا لم أصطد دودة فى حياتى .. أنا رجل علم لا يعرف سوى كتبه .. كل ما هنالك أنها تجربة جديرة بالمشاهدة .. وستكون آخر ذكرى لى من (إفريقيا) .. ستدفئ بردْ شيخوختى فى الأعوام الباقية لى فى الحياة .. »

ـ « أحقًا ستتركنا ؟ »

ربّت الأب على ذراعه .. وغمغم :

ـ « يا بنى .. هذه بلادكم .. أما أنا فلى بلد آخر يملؤه الضباب .. ويصعب أن ترى فيه أسدًا يشرب من النهر .. لكنى أنتمى إليه .. »

كان (مامادو) حائرًا ..

لقد أحب العجوز وابنته حين كانا خائفين وحيدين ضعيفين .. أما وقد قادهما إلى الحامية .. حامية البلد الذى جاءا منه .. فهو يشعر أنهما صارا غريبين عنه .. ثمة نبرة تعالٍ واضحة .. وثقة بالنفس ممقوتة فى كل ما يقولان ..

لقد تسرب بخار الاستعمار إلى رأسيهما ..

ثم موضوع الصيد هذا ..

لقد رأى حملتى صيد فى حياته .. ورأى ما فعله (طرزان) بأفرادها .. وهو لم يكن راغبًا فى رؤية نفس الشىء مع هذين ..

وهنا دخلت (عبير) الكوخ ..

كانت ترتدى قميصًا نظيفًا .. وسروالاً انتفخ جانباه .. مما يرتديه الأجانب فى رحلات الصيد .. وقد دست قدميها فى حذاءين لهما رقبة عالية ، وعلى رأسها الأشقر كانت قبعة أنيقة ..

كانت جميلة .. لكنها لم تكن أجمل مما كانت حين رآها أول مرة .. حين كانت ترتدى ثوبًا أبيض مهلهلاً متسخًا .. وقدماها حافيتان .. وشعرها ثائر كالنار حول رأسها .. وطين (الأسامبارا) يلطخ وجهها ..

كانت آنئذ مختلفة .. أما الآن فقد غدت (منهم) ..

★ ★ ★

اللورد (هنرى فتزجيرالد) والسير (جيمس ماكماهون) هما رجلان رياضيان .. ولأنهما رياضيان فهما فخوران بعضلاتهما القوية ، وبشرتيهما الملوحتين بالشمس ، وشاربيهما المدببين من النوع الذى (يقف عليه الصقر) كما نقول نحن ..

ونظرت (عبير) إلى المشهد فحسبت أنها ترى منظرًا ضخمًا من فيلم سينمائى .. هى لم تر فيلم (ثلوج كلمنجارو) لكنها متأكدة من أن مشهدًا كهذا كان فيه ..

هناك صفٌ من الحمالين الإفريقيين الذين تبدو عليهم التعاسة ، ينوءون بما حملوا على أكتافهم ..

وهناك مرشد إفريقى يرتدى جلبابًا واسعًا أبيض ، ويتحدَث الإنجليزية بشىء من الطلاقة ..

وهناك عدد هائل من السادة الإنجليز يرتدون ثياب الصيد ، ويحملون بنادق مهيبة الشكل ، ويدخنون الغلايين ..

أما اللورد المذكور ، والسير آنف الذكر فهما منظما

هذه الحملة تحت رعاية السيد الحاكم العسكرى ، ورعاية صاحبة الجلالة ملكة بريطانيا شخصيًا ..

كان الموكب المهيب قد مرّ بالقرية لاصطحابهما كما وعد الحاكم .. فما إن رأى اللورد (فتزجيرالد) (عبير) حتى هرع إليها .. وبرشاقة تناول يدها وانحنى ليلثمها فى تملق .. وقال وهو يخلع قبعته :

ـ « آنستى .. إننى أحيى هذا الجمال النادر أن نراه فى المستعمرات .. »

وهزّ رأسه فى وقار للأب :

ـ « دكتور .. »

وكانت هناك بغلة جميلة الشكل ، رأت الخدم يقودونها لتركبها .. فما من (جنتلمان) يسرّه أن يرى آنسة جميلة تمشى كل هذه المسافة ..

صعدت (عبير) على ظهر البغلة وأمسكت بما يشبه اللجام ..

وبدأت الحملة المهيبة تتحرك ..

★ ★ ★

لكن رجلاً كان يرقب ما يحدث من بين أغصان الدغل ..

ولم يكن راضيًا عن كل هذا ..

★ ★ ★

١١ ـ الغضب ..

مشى لورد (هنرى) جوار بغلتها فى خطوات رياضية نشيطة ..

كان هناك سهل ممتد إلى ما لا نهاية من الأعشاب الشامخة .. وفى المقدمة يمشى رجال (الزولو) حاملين رماحهم ودروعهم البيضاوية .. بينما يتقدم السادة المكتشفون خلفهم بمسافة آمنة ..

سألها لورد (هنرى) فى تهذيب :

ـ « أهذه رحلة (السافارى) الأولى لك ؟ »

ـ « هى أول مرة أرى فيها (إفريقيا) أساسًا .. »

ـ « لن تعرفى مافاتك قبل أن ترى صيد اليوم .. »

سألته وهى تحدو دابتها برفق .. عن طريق الطَّرق على عنقها :

ـ « هل أنتم ذاهبون لصيد معين ؟ »

ـ « نحن لا نلهو بالصيد .. بل نحاول الجمع بين الصيد والمنفعة العامة .. هناك أسد عجوز فى هذه

الأرجاء .. ولأنه عجوز لم يعد قادرًا على مطاردة الحمير الوحشية والظباء .. لهذا - كما هى العادة - اكتشف مصدرًا جديدًا للحم الطازج الطرى المتاح فى أى وقت : الإنسان ! »

اتسعت عيناها .. وعادت تسأله :

- « الإنسان ؟ »

قال وقد سرّه أن أثار رعبها (وهى عادة صبيانية سخيفة) :

- « نعم .. لقد اختطف امرأتين وطفلاً .. وهنا لا يجد الوطنيون حلاً سوى اللجوء إلينا .. وهكذا نجمع نحن بين لذة الصيد ولذة تحقيق الأمن .. »

كان هذا كافيًا ..

ففى أعماقها بدأت تخبو تلك الجمرة المزعجة التى كانت تؤرقها .. جمرة الشعور بوخز الضمير .. فهى لم تكن تدرى ما هم ذاهبون لصيده .. وخطر لها أنهم ذاهبون لقتل الغزلان الوديعة والزرافات المسالمة ..

لكن هذا الرجل قد أعطاها مبررًا أخلاقيًا للقيام بما تنوى عمله ..

إن الأسد شرس .. وخطر داهم .. وقتله ليس أكثر

قسوة من قتل ثعبان سامّ أو إبادة قواقع البلهارسيا ..

راحت تهشّ الذباب المحتشد حولها فى ضيق ..

فقال لها لورد (هنرى) :

- « لحظة .. لا تتحركى ! »

فى اللحظة التالية هوت صفعة على جانب عنقها .. فنظرت له مذهولة والدمع فى عينيها ، فرأته يرفع ذبابة ميتة بين أنامله :

- « معذرة .. إنها ذبابة (تسى تسى) .. لم يكن هناك وقت لأحذرك ! »

تحسّست موضع الصفعة فى لوم .. وقالت :

- « كانت (هش) واحدة كفيلة بإنهاء المشكلة .. »

- « (هش) لا تصلح مع هذه الذبابة لأنها سمجة .. ولدغتها كفيلة بإصابتك بمرض النوم .. غيبوبة طويلة لا تفيقين منها أبدًا .. يجب على المرء أن يكون حذرًا فى الأدغال .. »

هنيهة تفكير .. ثم هوت على خدّه بصفعة جعلت الهواء يخرج من أذنيه ..

وقبل أن يسألها هتفت فى لهجة الخطورة :

- « معذرة .. إنها ذبابة أخرى كادت تلدغك على

خدك .. إن هذه الأدغال ـ كما قلت أنت ـ خطرة جدًا ! »

تأملها بخدٍ محمرَ كالنار .. وتساءل عما إذا كانت قد خدعته .. لا جدوى .. لن يعرف الحقيقة أبدًا .. ثم إنه خير من يعرف أن ذباب (تسى تسى) لا يوجد هنا !

وهكذا واصل السير فى صمت ودمه يغلى ..

* * *

صاح السير (جيمس) ذلك الصياح الهامس :

ـ « توقفوا ! »

ورأته (عبير) يجثم على ركبتيه بين الأعشاب ، وحوله رقد رجال الحملة على بطونهم .. وشعرت بيد لورد (هنرى) تساعدها على الترجل عن دابتها .. ثم ربت على منخر البغل كى يظل هادئًا ..

شرعت تزحف على بطنها وسطهم .. ورأت أباها يزحف بدوره .. وتلاقت عيناهما فابتسم فى سرور .. كأنما يقول لها : هذا هو المرح قد بدأ !

صوت صفعة دوى فى الأرجاء .. فعاد سير (جيمس) يصيح همسًا :

ـ « قلت صمتًا ! »

تحسس لورد (هنرى) قفاه ليهدئ موضع الصفعة .. ونظر إلى (عبير) فى استسلام ولوم ..

قالت هامسة وهى تدسّ رأسها بين الأعشاب :

ـ « ذبابة أخرى ! إنها الذبابة رقم (٤٧) منذ وجهت انتباهى إلى هذا ! »

تحسّس قفاه من جديد وشعر به ينبض دمًا .. لكنه قال لها هامسًا :

ـ « شكرًا على اهتمامك بصحتى .. لكن كنت أفضل لو تنسينى قليلاً .. »

ـ « يجب على المرء أن يكون حذرًا فى الأدغال .. »

ـ « نعم .. ولكن ذباب (تسى تسى) ...... »

ـ « ششششش ! »

قالتها رافعة سبابتها إلى شفتيها ..

وألصقت وجهها بالعشب أكثر لترى ما يحدث هناك ..

وهناك ـ عبر السهل الممتدّ ـ كان الفيلان .. فيلان يتسليان بالتقاط أوراق الشجر من على الغصون بخرطوميهما ..

ورأت سير (جيمس) يحكم تصويب بندقيته .. ويكتم أنفاسه ..

ما هذا ؟ إنه ينوى .....

صاحت وهى تنهض على مرفقيها :

- « لكن هذا ليس أسدًا ! إن الأفيال لا تدخل فى نطاق الـ ..... »

بوم !

ارتجت الغابة لصوت الطلقة ..

وحلقت الطيور هاربة من حيث لا تدرى أين كانت .. وتصاعدت صيحات القردة وهى تفرّ من فوق أشجارها مذعورة ..

وفى الأفق لم يعد هناك سوى فيل واحد يتحسّس بخرطومه رفيقته ، المسجاة على العشب وقد كفت عن الحركة .. كفت عن الحياة ..

رفع خرطومه إلى السماء وأطلق صيحة داوية .. هوووووه ! ولم تكن (عبير) قد سمعت صوت الفيل من قبل .. لكنها أدركت أن هذه صيحة التياع وجزع .. صيحة روح تتمزَق ..

ولم يطل سير (جيمس) آلام الفيل الباقى ..

بوم !

دوت الطلقة التالية .. وبعدها لم تعد هناك أفيال ..



وفى الأفق لم يعد هناك سوى فيل واحد يتحسّس بخرطومه رفيقته ، المسجاة على العشب وقد كفت عن الحركة ..

فقط جثتان ضخمتان يعبث حولهما الذباب .. ورائحة البارود ..

نهض الرجل وعلى وجهه علامات الرضا ..

وأخذ رجال (الزولو) يتصايحون فرحًا .. على حين راح الإنجليز يصافحون الرجل مهنئين ..

أما هى فقد ظلت ترمق كل هذا فى غباء ..

كان هناك كلام كثير عن أسد عجوز سفاح .. وعن تحقيق الأمن .. إلخ ..

فما هى علاقة الفيلين بكل هذا ؟ إذن ليست هذه حملةَ صيد شجاعة .. بل مجرّد مجموعة من السفاحين يلهون .. مجرّد أوغاد ..

دنا منها لورد (هنرى) .. رأى وجهها الشاحب .. وعينيها الزجاجيتين .. وأدرك ما كان يجول فى ذهنها .. فقال بصوت عميق :

- « الصيد هو الصيد .. إن العاج يساوى كثيرًا على الصعيد المعنوى والمادى .. ولربما أهديناك رأس جاموس برى أو سنَ فيل يذكّرك بأحلى أيام حياتك .. إن الذكرى لشىء مهم لسيدة تحيا وحدها فى (لندن) بعد ما يتزوج أبناؤها .. »

وصمت .. بينما رجال (الزولو) عاكفون على انتزاع أنياب الفيلين ..

لكن عينيها جعلتاه يشعر بالذعر ..

عيناها تقولان لهم بكل صراحة : أيها القتلة ! أيها القتلة !

★ ★ ★

رائحة الموت تصاعدت إلى أنف (شيتا) قبل أن يشمها (طرزان) ..

الشمبانزى لطيف المعشر يصدر أصواتًا رفيعة تنمّ عن غاية الذعر .. ويشير إلى السهل مرارًا وتكرارًا ..

هنا بدأ (طرزان) يشم الرائحة بدوره ..

ولم يكن هناك أحد .. لهذا هبط من فوق الشجرة ، وأشار إلى الشامبانزى كى يلحق به .. لكنه آثر السلامة ..

ومشى ربيب القردة رويدًا إلى مكان الرائحة ..

هذا (شاك) .. ذكر الغوريلا العجوز المسالم .. الذى كان يهوى التهام أوراق الشجر وثمار المانجو ..

جثته ممددة فى ضوء القمر نصف المكتمل بلا حراك ..

انحنى (طرزان) على ركبتيه وتفحص رأس القرد العجوز ..

ثقب قبيح الشكل فى جبهته .. وثقب آخر فى صدره .. و (طرزان) يعرف من أين تأتى هذه الثقوب .. الرجال بيض البشرة يصنعونها فى أجساد الحيوان بعصى معدنية يحملونها .. عصى تحدث صوتًا كالرعد ..

وحين نظر لأسفل أكثر رأى أن كفى الغوريلا مقطوعتان ..

كان قد رأى أشياء كثيرة كهذه ، ولم يفهم قط السرّ فى ذلك ..

ولو كان (طرزان) ذا خبرة بالسوق لعرف أنهم يبيعون أكف الغوريلا للبيض ، كى يستعملوها كمطفأة سجائر .. وأن الكف الواحدة تساوى ثروة فى أسواق (أوروبا) و(أمريكا) .. ثروة تستحق أن يموت من أجلها هذا الحيوان المسالم الضخم أشنع ميتة(*) ..

وقطب جبينه فى ضوء القمر الشاحب ..

(*) حقيقة ..

ما كان (شاك) العجوز يستحق ميتة كهذه .. فقد أحبته كل حيوانات الغابة .. إن (طرزان) قد مرّ بلحظات عديدة كهذه .. كلما جاء الرجل الأبيض لينشر الموت والهلاك فى كل صوب ..

وفى كل مرة كان (طرزان) يتحاشاه .. لأنه يعرف أنه ينتمى بشكل ما له .. وأن هؤلاء القوم سيقبضون عليه حتمًا ويعيدونه إلى وطنه الذى لم يره قط .. وسيرغمونه على ارتداء الثياب مثلهم .. وعلى الحياة مثلهم ..

لم يكن الصدام فى صالحه ..

فالرجل الأبيض أقوى وأشرس من كل حيوانات الدغل ..

★ ★ ★

عند الفجر سمعت (عبير) صوت الضجيج ..

وسمعت (الزولو) يتكلمون بلغتهم الغريبة ..

غادرت خيمتها مسرعة .. فوجدت لورد (هنرى) يهرع ممسكًا ببندقيته .. وما إن رآها حتى صاح :

- « إنه هنا ! »

- « من هو ؟ »

- « الأسد طبعًا .. لقد جاء يطلب الماعز التى ربطناها قرب المعسكر ! »

واختفى بين الأشجار .. وسمعت (عبير) صوت الطلقات فوجف قلبها .. صوت زئير .. رائحة البارود .. مزيدًا من الطلقات .. صياح :

- « عليك به يا (جيمس) ! »

- « أسرع يا (هنرى) قبل أن ...... »

صوت صرخة مدوية .. زئير .. ثم .. الصمت .....

عندما عاد الإنجليزيان كانا منهكين والدخان يتصاعد من فوهتى بندقيتيهما ..

وابتسم لورد (هنرى) فى ثقة برغم وجهه المتعب :

- « قد ظفرنا به ! »

- « مرحى ! »

وبعد قليل رأت رجال (الزولو) عائدين ..

كانوا يحملون شيئًا بين أيديهم .. وأدركت (عبير) أن هذا أحدهم .. لقد مزقه السبع تمامًا .. ومن الواضح لكل ذى عينين أنه قد انتهى ..

ورأت مجموعة أخرى تجذب الأسد الميت بصعوبة بالغة ..

كان ضخمًا .. ذا لبدة هائلة الحجم .. وكان جسده مفعمًا بالطلقات ..

قال لورد (هنرى) وهو يجلس على العشب مسترخيًا :

- « كان شرسًا .. وكاد يفتك بنا جميعًا .. »

- « لكنه وقع فى الفخ على كل حال .. »

دنت (عبير) لتتأمل هذا المخلوق العظيم الذى لن يفترس بعد الآن .. تأملت عضلاته .. وأنيابه البارزة .. و .....

وهنا توقفت عند شىء ما جعلها تدرك أن هذا الأسد لم يكن عجوزًا .. وبالتأكيد لم يكن هو مفترس النساء والأطفال ..

كان هناك جرح فى كتف الأسد ..

جرح قطعى أحدثته حربة .. أحدثته منذ أيام فى قرية (الأسامبارا) !

★ ★ ★

وفى الظهيرة وجده (طرزان) ..

لم يكن بحاجة إلى رؤية جرح الكتف ليعرف من هو ..

إنه يعرف كل شعرة فى لبدته .. وكل ناب فى فم (جاد ـ بال ـ جا) ..

مرّغ وجهه فى عنقه .. وراح يعتصر فراءه الكث يبلله بالدموع ..

وإلى السماء رفع عقيرته وأطلق صرخة ألم .. صرخة اهتزت لها أرجاء الغابة ..

★ ★ ★

ـ « ما كان هذا ؟ »

تصلب الرجال فى أثناء سيرهم وقد أثارت الصرخة هلعهم ..

وعرفت (عبير) أن (طرزان) قد وجد صديق عمره مقتولاً .. وعرفت أن غضبه سيكون كالبراكين .. كاسحًا مروعًا لا يمكن التصدّى له ..

قالت وهى تبتسم فى تشف :

ـ « هذا (طرزان) ! »

ـ « هل تمزحين ؟ ما من بشر يمكنه إصدار صيحة كهذه .. »

ـ « (طرزان) يمكنه .. »

ـ « ولماذا يصيح ؟ »

ـ « لأننا قتلنا صديقه الأسد .. صديقه الذى لم

يقترف شيئًا .. فقط جاء فجر اليوم ليظفر بالماعز لعشائه .. ولم يدر أن هذا كمين .. »

تأمل بعضهم البعض فى عدم فهم ..

لكنها كانت تفهم .. واستعدّت لنيل جزائها ..

وحتى حين راحت الأرض تهتزّ تحت أقدامهم ..

وحين ألصق أحد رجال (الزولو) أذنه بالأرض ثم نهض صارخًا .. وحين ساد الارتباك الجميع .. لم تشعر بذعر .. بل استعدت للعدالة .. عدالة الأدغال ..

صاح لورد (هنرى) :

ـ « قطيع من الجاموس البرى ! فى هذا السهل ! يا لها من كارثة ! »

وأطلق ساقيه للريح ومعه جرى الرجال .. كانوا يحاولون اللحاق بالأشجار التى بدت لهم بعيدة جدًا نائية جدًا ..

جرى الباقون .. لكنها مشت بتؤدة .. لم تكن تتعجل شيئًا ..

وفى الأفق لاحت سحابة الغبار .. ثم ظهر القطيع الثائر الذى لا يمكن الوقوف فى وجهه مهما كنت تملك من شجاعة ..

★ ★ ★

لم يلحق الجميع بالأشجار ..

وبين الحوافر تلاشى جسد عدد لا بأس به من أفراد الحملة ..

الهول .. الأسود يزحف كالطوفان .. يأخذ بالنواصى والأقدام ..

لم تكن هناك صرخات .. فالضوضاء لا تسمح بشىء .. ولربما أطلق أحد الرجال رمحًا أو طلقة بندقية .. لكنها كانت تضيع وسط الأمواج .. فلا ترى لها أى تأثير ..

لكن (عبير) وأباها كانا فى مأمن ..

لقد وجدت نفسها بين ذراعين قويتين ، وعملاق أبيض يجرّها جرًا بأسرع ما يمكن إلى جذع شجرة ملقى على الأرض .. وحمى جسدها به .. ثم هرع يحمل الأب إلى الموضع ذاته .. ثم يتوارى معهما ..

واحتضنت (عبير) أباها .. وكمشا جسديهما قدر الإمكان .. بينما حوافر الموت تثب من فوقهما ، والهدير مستمر إلى يوم الدين ..

كان الجذع قويًا .. وشكّل عقبةً لا بأس بها أمام القطيع .. من ثم راح أفراده يثبون فوقه ..

وأخيرًا هدأت الضوضاء ..

ورفعت (عبير) وجهها لترى الغبار الذى خلفه هؤلاء ..

الجثث الممزقة فى كل صوب عبر الوادى ..

ومن بعيد ترى الشىء الذى أثار هلع هذا القطيع ..

أسرة كاملة من الأسود بحالة صحية جيدة تلحق بمؤخرة الركب .. وترغمه على الركض المجنون ..

لكن الأسود لم تواصل مسيرتها ..

رأتها (عبير) تقف فى السهل وترفع عيونها متسائلة ..

نهض (طرزان) من مخبئه .. لم ينظر لها ولا لأبيها ..

يشق الغبار بجسده الفارع ماشيًا نحو الأسود ..

وفى صمت أشار إلى الأشجار البعيدة .. أمر صامت أصدره بعينيه ..

الأسود تهرع نحو ما أشار إليه .. تقف هناك وترفع رءوسها لأعلى وتزأر ..

★ ★ ★

نهض الأب ينفض الغبار عن ثيابه .. شعره وحاجباه

صاروا بيضًا تمامًا .. وكان منهكًا يترنح من الإنهاك العصبى والجسدى ..

راح يرمق المشهد غير فاهم .. ثم سأل (عبير) :

- « هل أنت بخير ؟ »

- « وأنت ؟ »

- « بخير .. لقد أحسن (طرزان) هذا اختيار وسيلة الفرار لنا .. »

- « وأحسن الانتقام ! »

نظر لها فى غباء .. غير فاهم ما تريد قوله .. واصل نفض قميصه ثم عاد يسألها وهو يعرج على قدم التوت :

- « هل تعنين أنه هو الذى ؟ »

- « بالتأكيد .. إن هذه الأسود هى أسرة (جاد -بال - جا) الذى قتلوه .. قتلوه فجر اليوم .. عندها قرر (طرزان) أن ينتقم .. وكان انتقامه مريعًا لا يبقى ولا يذر .. »

نظر لبعيد مستخدمًا كفه ليقى عينيه وهج الشمس .. وقال :

- « لكن هناك أحياء فوق هذه الأشجار .. لورد (هنرى) وسير (جيمس) وبعض (الزولو) .. »

- « هذا حق .. لهذا تنتظر الأسود ! »

- « لن ينزلوا إلى الأرض أبدًا .. »

- « ربما .. لو قرروا أن يعيشوا فوق الأشجار إلى يوم الدينونة فهذا شأنهم .. لكن الأسود لن تملَّ الانتظار .. ومن يحاول النزول يكن جزاؤه مريعًا .. هذا عادل بكل المقاييس .. »

قال لها فى استخفاف :

- « أراهن على أن لورد (هنرى) سيتسلى بالتصويب على هذه الأسرة أسدًا أسدًا .. وبعد نصف ساعة يمكنه أن ينزل .. »

- « لا أظن يا أبى .. فإن أحدًا لم يُعن بحمل بندقيته فى أثناء التسلق .. ثم إنها تعوق صعود الشجرة .. انظر ! هى ذى بنادقهم فى يد (طرزان) ! »

كان (طرزان) عائدًا من عند الأشجار ، حاملاً أربع بنادق فى يده .. ورأته (عبير) يمسك بها واحدة واحدة .. فيهشمها على ركبته كما نهشم نحن أعواد القصب فى شم النسيم ..

وبازدراء ألقى بالحطام جانبًا .. ورفع عينيه لينظر لهما ..

نظرة خالية من المعنى .. لكنها تقول الكثير ..

تقول : لقد أخطأتما لكنى غير قادر على معاقبتكما لأننى أحبها .. والآن يمكنكما الانصراف ولا تهابا أسودى ..

همست (عبير) وعيناها تدمعان ..

ـ « أبى .. »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « أنا ذاهبة معه ! »

ـ « هل جننت ؟! »

دون كلمة واحدة تقدمت نحو (طرزان) .. نظر لها لحظةً فى حيرة .. ثم مدَ يده العملاقة وأراحها على كتفها ..

كان يلهث تعبًا .. ويلهث إرهاقًا .. ويلهث غضبًا .. لكن ابتسامة بدأت تتلاعب على وجهه الصخرى ..

★ ★ ★

هنا سمعت (عبير) من يناديها .. ولم يكن أباها ..

ـ « هيه ! (جين) أو (عبير) ! »

نظرت للوراء لترى (المرشد) ببذلته السوداء ، والقلم الجافَ فى يده ، وقد بدا متعجلاً للانتهاء من كل هذا ..

ـ « (المرشد) ؟ »

ـ « هو بعينه .. جئت لإنهاء هذه القصة .. إن قطار (فانتازيا) ينتظر .. »

صاحت فى حنق وهى ترفع ساعد (طرزان) عن كتفها ..

ـ « هذا ليس عدلاً .. من المفترض أن تتزوج (جين) (طرزان) وتعيش معه إلى الأبد .. وتصير مثله فى كل شىء .. »

ابتسم ابتسامته اللزجة .. وقال :

ـ « يصلح هذا لمغامرة أخرى .. لكن وقت هذه قد انتهى .. »

ـ « لكن الموقف لم ينته بعد .. »

ـ « بالعكس .. »

ونظر إلى الأشجار التى تنتظر الأسود تحتها .. وأردف :

ـ « قد نال الأشرار جزاءهم .. وانتقم (طرزان) .. وصرت أنت زوجة (طرزان) .. هل بَعد ذلك بَعدٌ ؟ »

رأى حسرتها .. فقال محاولاً التخفيف عنها :

ـ « على كل حال .. تذكرى ما قال (مامادو) .. إن قصص (طرزان) عنصرية خبيثة جدًا .. مهمتها

تمجيد الرجل الأبيض القوى العادل .. المؤهل ليحكم (إفريقيا) كلها .. وفى كل قصص (طرزان) تجدين تجار الرقيق من العرب الذين يفسدون فى الأرض ويعذبون الزنوج .. وهى محاولة رخيصة لدقَ (إسفين) ما بين العربى والإفريقى .. وطبعًا كلنا نعرف أن تاجر الرقيق كان هو الرجل الأبيض ، كما حكى (أليكس هيلى) فى رواية (جذور) .. ولمزيد من الخداع تجدين (طرزان) يعاقب البيض الأشرار فى قصصه ..

الحق أن قصص (طرزان) كلها سيئة النية .. لكنها مسلية جدًا .. »

ـ « مثلها مثل قصص (جيمس بوند) .. »

ـ « بالضبط .. والآن ودَعى قردك الأبيض .. فأمامنا رحلة أخرى .. »

نظرت إلى عينى (طرزان) الصريحتين ولم تجد ما تقول ..

وفى صمت لحقت بـ (المرشد) دون أن تنظر إلى الوراء .. »

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع : ٥٢٦٦

الترقيم الدولى : ٥ ـ ٢٦٥ ـ ٢٦٠ ـ ٩٧٧

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيـال

روايات
مصرية للجيب

٧٢١١٧٩

نداء الأدغال

إنها الأدغال الإفريقية ، حيث لا صوت يعلو فوق صوت الزئير والعواء والخوار .. ولا قانون يعلو فوق قانون الغاب ... ولا حلم يعلو فوق البقاء حيًا ساعة أخرى ..

لكن واحدًا فقط عرف كيف يخلق قانونه الخاص .. كان هذا الواحد يُدعى لورد (جراى ستوك) .. والذى نسميه نحن (طرزان) ..



د. أحمد خالد توفيق

الثمن فى مصر ١٥٠ ق
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٤